387

أعمال لم تنشر

عبد الوهاب مطاوع

فتاة من قاع المدينة

الطبعة الرابعة

A.M.

الدار المصرية اللبنانية

25 عاماً مع الكُتّاب والقرّاء



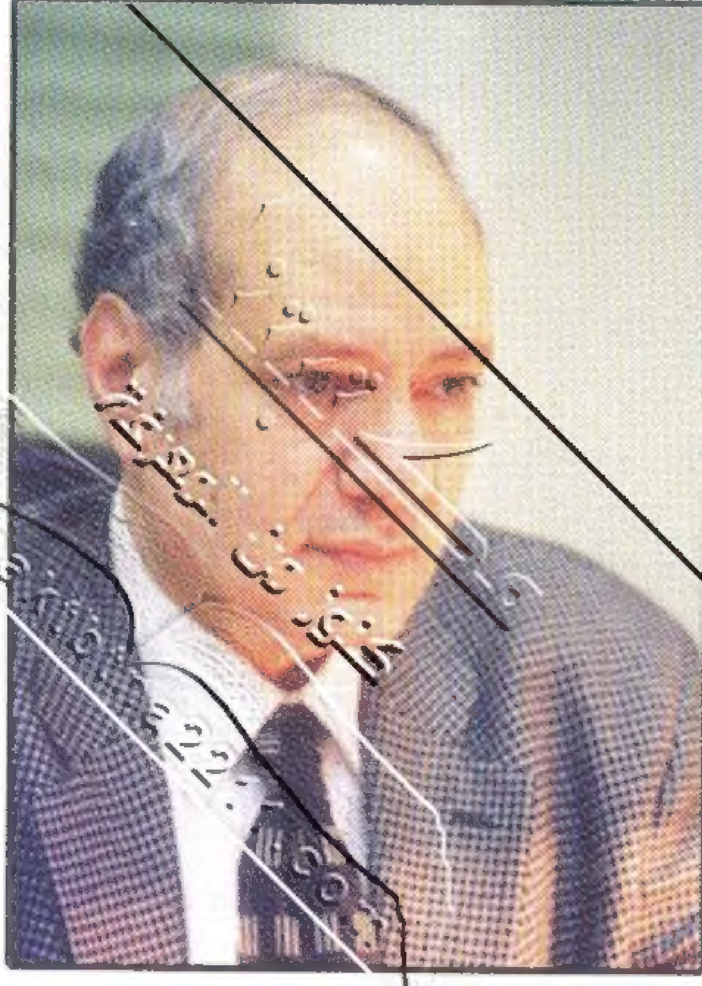
Sunday
29/9/2013

فتاة من قاع المدينة

★ تجربة المتنى .. تجربة علمتنى.

★ هذه بعض قصص كفاح المحرومين والبؤساء، بين فتاة تعيش فى البدروم، ومعيدة شابة تعانى الظروف نفسها مع فارق بسيط، إنه عالم قاع المدينة الذى لايعرف عنه الكثيرون أىَّ شىء، وفيه ومنه يطلعنا عبد الوهاب مطاوع على شريحة غائبة أو مغيَّبة فى مجتمعنا، وذلك كما يقول: ليثرى حياتنا ولنتعلم من مآسى الآخرين، ولينفذ من خلال ذلك إلى الحديث عن مشكلات عامة، فيخلص إلى أن أى تقدّم لهذا البلد لن يحدث إلاَّ إذا راعى مصلحة هؤلاء البسطاء؛ لأن التجربة المؤلمة هى عادة التجربة التى نتعلم ونستفيد منها.

والآمال الكبرى التى تتحقق غالبًا، إنما هى ثمرة أحلام صغيرة تخرج من واقع قاس، فتدفع أصحابها إلى الطموح والتغلّب على مآسيهم، وهو ما يشكل فى النهاية الجو العام الذى يدور حوله هذا الكتاب.



★عبد الوهاب مطاوع ١٩٤٠-٢٠٠٤

★ شغل منصب مدير تحرير جريدة الأهرام ورئيس تحرير مجلة الشباب.

★ حصل على جائزة مؤسسة على أمين ومصطفى أمين عام ١٩٩٢ كأحسن كاتب صحفى يكتب فى المسائل الإنسانية.

★ كان يكتب باب (بريد الجمعة) الإنسانى فى الأهرام كل أسبوع بانتظام منذ عام ١٩٨٢، ويشرف على باب بريد الأهرام اليومى بصحيفة الأهرام.

★ صدر له ٥٥ كتابًا، يتضمن بعضها نماذج مختارة من قصص بريد الجمعة الإنسانية وردوده عليها، ويتضمن البعض الآخر قصصًا قصيرة وصورًا أدبية ومقالات فى أدب الرحلات.

★ صدرت له ثلاث مجموعات قصصية هى: (أماكن فى القلب) (ولاتبتسم)، (والحب فوق البلاغة).

6 222006 311452

الدار المصرية اللبنانية

كتابنا القادم

نزار قباني

و

روائع القصائد المغناة

أسرار وحكايا نجوم الفن مع نزار



سامي كمال الدين


R4BIA

عبد الوهاب مطاوع

أعمال لم تنشر

فتاة من قاع المدينة

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تستغرقنى أحيانًا قراءة رسائل بريد الجمعة وتشدنى إلى عالمها الغريب.. حتى لتمضى الساعات الطويلة وأنا غارق فيها فلا أحس بانقضاء الوقت إلا من تباشير نور الصباح تتسلل على استحياء من نافذة غرفة مكتبى.

فأكتشف لحظتها أن ليلة أخرى من العمر قد مضت مع هموم البشر.. ولم تنته بعد الهموم، ولقد اكتسبت من طول المعايشة عادة غريبة لا أعرف تفسيرًا لها.. هى تخيل العالم الذى تروى لى عنه الرسالة.. حتى أكاد "أرى" أبطاله.. "يتحركون" أمام مخيلتى كأنهم أصدقاء أعزاء أعرفهم على البعد ومن بين الأصدقاء الذين عشت معهم فى عالمهم أصحاب هذه الرسائل.

أعتذر فى البداية عن أية لمحة ألم قد تسببها قراءة هذه الرسالة اللاذعة للبعض. وأعترف أننى حاولت أن أخفف قليلا من الصورة القائمة التى ترسمها للحياة فى قاع المدينة.. فنجحت فى بعض فصولها وفشلت فى فصول أخرى.

تقول كلمات الرسالة: أنا فتاة عمرها ١٨ سنة، أقول لك فى البداية إننى لا أكتب إليك هذه الرسالة لاستعطفك أو لأثير عطف أحد قرائك، فالحق أننى لأ أقبل العطف من أحد ولو كان من أقرب الناس.. وأكره نظرة الشفقة فى عين أحد ولو كان قريبا منى. لكننى أكتب إليك هذه الرسالة لأروى لك قصة حياة لناس قد لا يعرف بعض قرائك الكثير عن حياتهم، وقد لا تلتقون بهم كثيرا وسأروى لك كل شىء بصراحة مهما كانت جارحة أو مثيرة للقرف.. وأرجوك ألا تحس بالغثيان وأنت تقرأ بعض تفاصيل حياتى. لقد عرفت الفقر منذ طفولتى.. وعاشرت المرض منذ تفتحت عيناى للحياة فقد ولدت فى غرفة مظلمة لا ترى النور ولا تعرف الماء.. وترعرعت كما يقولون فى وسط محروم من كل شىء يضىء بلمبة الجاز ويشرب من ماء الطلومبة ومضت طفولتى بطيئة.. لكن عن أى طفولة أتكلم.. إن أمثالى لا يعرفون الطفولة التى

يتحدث عنها الآخرون.. لذلك فسأروى لك بعض لمحات من هذه الفترة التى أسميها طفولتى! لم أعرف فى طفولتى كلها سوى قماش الدمور الرخيص رداء خارجيا وداخليا فى نفس الوقت.. لم ألبس طوال طفولتى فستانا مما تلبسه الصغيرات لا جديدا ولا مستعملاً مما تخلعه بعض الأسر على أطفال الفقراء، لم آخذ فى حياتى قرشا أو نصف قرش فى يدى عند الذهاب إلى المدرسة كما يفعل الأطفال.. وستسأل: وهل دخلت المدرسة فأقول لك نعم دخلتها رغم كل هذه الظروف، فأبى المكافح العامل فى أحد المصانع قد حرص على تعليمى أنا وإخواتى الأربعة.. أملا أن يجنبنا مصيره هو.. وفى المدرسة كنت أرى الأطفال يشترون المصاصة ويمصونها فيتحلب ريقى عليها ولا أستطيع شراءها.

ورغم كل ذلك مضت بنا الحياة ونحن نقاوم أبى وأمى وأنا وإخوتى، ثم تدهورت بنا الأحوال، وفقدنا غرفتنا المظلمة فى انهيار المنزل، واضطررنا للسكنى فى بدروم عمارة تمليك مكونة من ١٠ شقق. بلا أجر ندفعه مقابل خدمة سكان العمارة كلهم، والقيام بأعمال بواب العمارة، وتصورنا أن متاعبنا قد انتهت لأن البدروم أوسع من الغرفة. لكن ما لقيناه ومازلنا نلاقيه كان أشد وأقسى.. خمسة أولاد ثلاث بنات وولدان أنا أكبرهم فى المدارس جميعا، مطلوب منهم النجاح واجتياز عقبات المجموع للاستمرار فى التعليم المجانى، لكن

كيف يذاكرون دورسهم وهم جميعا فى خدمة سكان العمارة فى أى وقت، من الليل أو النهار.. روحى هاتى عيش، أكنسى السلم، اغسلى العربية، هاتى المكواة وصدقنى إن هذا ما يحدث طوال النهار بلا مبالغة.. فكيف نذاكر دروسنا وكيف نجيب المجموع المطلوب؟ ورغم كل هذا العذاب فقد واصلت دراستى وحصلت على دبلوم التجارة لكن أختى رسبت.. وأخى على وشك الرسوب هذا العام لنفس السبب وحين أفكر فيما يحدث لنا أسأل نفسى وماذا يستطيع أبى وأمى أن يفعلا؟

إنهما يغالبان الفقر والمرض والظروف القاسية بلا هوادة.. إننى أتعذب حين أرى أبى عاريا نازلا فى بالوعة المجارى لكى يسلكها فى عز الليل، والناس نائمون والدنيا تمطر.. لأننا عاجزون عن النوم لأن مياه المجارى طافحة وبللت المراتب التى ننام عليها.. لقد زارتنا كل أمراض الدنيا.. بسبب الحياة مع المجارى فى بدروم واحد.. وتلطمنا بين العيادات الخارجية للمستشفيات المجانية.. والمستوصفات الخيرية نتعالج بالمزيج والحديد والزرنيخ.. وقاومنا الأمراض.. فنجونا من بعضها.. واستقر فينا بعضها الآخر.. وأنا شخصيا بقى عندى من الأمراض مرضان جليلان هما المرارة.. والتبول اللا إرادى أثناء الليل آسفة لأن أقول ذلك بلا خجل لكن هذه هى حياتنا.. ورغم كل ذلك لانعدم من يؤذى مشاعرنا بجهل أو بحماقة.. فأنا مثلا قد أسمع وأنا

ماشيه فى الطريق واحدا معندوش دم يقول لى أهلا يا بوابة! وأخى وأختى رغم صغر سنهما حاولا الانتحار بسبب كلام زملائهما لهما فى المدرسة، بسبب فقرهما وعملهما فى خدمة السكان، وكل ذلك بسبب البدروم اللعين صحيح أن راتب أبى الآن كويس لكن من أين يأتى بخلو رجل لغرفتين فى أى مكان.. أما أنا فلقد حصلت على الدبلوم وجلست فى البدروم بلا عمل ومفيش فلوس راضية تيجى أبدا، كأن بيننا وبينها عداءً مستحكمًا ونحن جميعا إخوتى وأنا نمضى النهار بطوله دون أن نمسك عشرة قروش نستطيع أن نشترى بها شيئا خاصا لنا وسأكون صريحة معك، على الرغم من أننى لا أعرفك. كلما ضاقت بى الدنيا فكرت فى الطريق الخاطئ لأية فتاة لأنقذ نفسى من هذه الحياة لكنى أراجع نفسى وأقول لها إن الشرف هو أغلى ما أملكه فكيف أضحى به؟ وفى النهاية أقول لك إننى أقرأ فى بابك رسائل لفتيات يشكين هموما تبدو بالنسبة لى ثانوية.. أو دلعا لا يستحق الوقوف عنده، وأحس أحيانا عندما أقرأ رسالة من هذا النوع أنى أريد أن أمسك بشعر كاتبة هذه الرسالة وأن أجرها إلى بدرومنا لترى الهموم الحقيقية التى يعانيها البشر.

لعلها ترضى عن حياتها وتترك لنا نحن أن نكتب لك.. نفضفض معك بلا أى أمل فى الحل عن بعض همومنا والسلام عليك؟

وأجد نفسى أقول لها بلا وعى وأنفاسى مبهورة من ملاحقة عباراتها التلقائية اللاذعة بل السلام عليك، أنت يا صديقتى فأنت التى تستحقين الإعجاب لصمودك وقوة احتمالك، وقبل كل شىء لرفضك الانسياق وراء وساوسك. ولقد أدركت جوهر المسألة حين عرفت أنك إذا أقدمت على ما فكرت فيه فإنك بذلك تكونين قد أهدرت رحلة كفاحك المريرة هذه ورحلة كفاح أبيك البطل فى تربيتك وتعليمك رغم الأهوال... أنت من هذه الناحية تستحقين كل الإعجاب وتستحقين أن تفخر بصداقتك أى فتاة كريمة... يبقى بعد ذلك... أن أقول لك إنك رغم كل المرارة والألم لست وحدك فيما قاسيت فى طفولتك وفيما تقاسين الآن.. ولربما كان هناك من قاسى الأهوال أكثر مما قاسيت، وأنت رغم كل ذلك مازلت فى بداية حياتك ولابد أن تأملى فى أن تكون الفصول التالية أكثر إشراقا، وأقل معاناة، فنحن لا نستطيع يا صديقتى مهما بدا الطريق أمامنا صعبا أن نكف عن الأمل أو أن نتوقف عن محاولة اختراق السدود وقفز الحواجز.. فلا بد أن نأمل دائما فى غد أفضل وإلا أصابنا الجنون، واستسلمنا لليأس

والإحباط. لابد أن نأمل دائما فى المستقبل مهما بدا الحاضر عقيما وغير مبشر بالآمال.. إننى لا أخدرك بالأمل.. لكنى أدفع عنك اليأس والإحباط وهما بوابة الشيطان إلى عقل وقلب الإنسان لابد أن ننظر إلى الأمام دائما بوجه مبتسم حتى ولو ظن بنا البعض البله، فالأمل هنا دفاع عن النفس ضد الجنون وضد شرور عديدة.. وليس استغراقا فى الوهم والأحلام وتذكرى دائما أن أكثر لحظات الليل سوادا هى اللحظات التى تسبق مباشرة ظهور أول ضوء فى الفجر، لذلك فإنه لابد أن يجين فَجْرٌ يوما ما وسوف يحين بكل تأكيد، فى يوم قريب ربما كان أقرب كثيرا مما تتصورين.

كأنى أثرت أشجان كثيرين حين قلت فى تعليقى على رسالة فتاة قاع المدينة الأسبوع الماضى لها إنك لست وحدك وإنه ربما كان هناك من قاسى ويقاسى أشد مما قاسيت، فقد انهالت على رسائل المعذبين فى الأرض تروى لى قصص حياتهم وتحاول أن تخفف آلام كاتبة الرسالة بأن تروى لها طرفًا من معاناتهم، لكن من بين هذه الرسائل العديدة التى تعاطفت مع كاتبة الرسالة وتمنت صداقتها توقفت طويلا أمام هذه الرسالة التى أرسلتها إلى قارئة عظيمة أدعوكم لقراءة رسالتها معى:

استأذنك فى البداية فى أن تزيد عدد (أصدقائك على الورق) كما تسميهم، صديقة جديدة هى أنا كما أستاذنك أيضا فى أن أكون صديقـة لكـاتبة رسالة فتاة من قاع المدينة التى نشرت فى الأسبوع الماضى ، فأنا أيضا ظروفى تماثل ظروفها . لكنى بحكم عملى لا ينطبق علـى وصف قاع المدينة، وإن كنت أنتمى فعلا إلى سكان القاع خاصة بعد أن انقلبت أوضاع المدينة وأصبحت قمتها فى قاعها .. وقاعها فوق القمة .. لكن هذه قصة أخرى !

والواقع أنك ستدهش قليلا أو كثيرا حين تعرف عملى فأنا يا سيدى معيدة بإحدى الكليات المرموقة وعمـرى ٢٦ سنة...

وعلى الرغم من كفاحى العلمى وكفاح أبى وأمى فى الحياة فما زلنا فى قاع المدينة سكنا وواقعا. لكنى أحمد الله أنه على الرغم من واقعى الذى يشبه واقع فتاة القاع مازالت عندى الرغبة فى العمل والعطاء بلا حدود، كما أننى مازلت ممتلئة بالأمل والتفاؤل رغم كل شيء. وأسمح لى أن أوجه تحياتى مباشرة إلى كاتبة الرسالة فأقول لها إننى مثلك عرفت الفقر منذ طفولتى وترعرعت فى الوسط الذى يضيء بلمبة الجاز ويذاكر دروسه على الطبلية حتى ينقصم ظهره" لكننى على عكسك كلما تذكرت هذه الطفولة شعرت بالسعادة لأننى تغلبت على آلامها ومشاكلها والحق أن أبى وأمى كانا دائما لى النور الذى اهتدى به، وعندما أنظر إلى الحياة التى ارتضياها لأنفسهما ليسعدا أبناءهما، أشعر أن كل الآلام قد ماتت وأحس بالرغبة فى بذل المزيد من الجهد والكفاح، لأحقق نجاحا أكبر أسعدهما به.

فأبى مثل أبيها عامل مكافح مازلت أقبل يديه كل يوم عرفانا لكل ما بذله من أجلى، حتى كان يحرم نفسه من كوب الشاى مع أصدقائه وزملائه فى العمل، لكى يوفر لى نفقات التعليم، ولأنى كنت أعرف ذلك وأنا طفلة صغيرة فقد حرمت على نفسى مجرد النظر إلى المصاصة فى أيدى الأطفال فى المدرسة، رغم كل ذلك مضت بنا الحياة ونحن نقاوم أنا وأمى وأبى وإخوتى الثلاثة الآخرون.

فكرت كثيرا وأنا طفلة أن أترك الدراسة وأعمل بالخياطة، لكى أوفر المشاق على أهلى وتخيلى أن تحملى طفلا صغيرا مسئولية التفكير فى مستقبله ولو كنت اخترت مهنة الخياطة، لكنت الآن فى قمة المدينة وليس فى قاعها، ولكن ماذا كنت أفعل وقد كنت متفوقة رغما عنى فى الدراسة؟ هكذا ولدت ما إن أمسك كتابا وأقرأه حتى أعيه وأفهمه وأتفوق على أقرانى فيه، وأغرانى هذا التفوق حتى وصلت إلى ما أنا فيه ولكنى مازلت فى قاع المدينة، لأن التفوق ليس من مبررات الصعـود لقمة المدينة، ثم تطورت بنا الحال من السكن بالغرفة المظلمة القديمـة إلى السكن فى بدروم عمارة، وأقول لك تطورت لأنى أيامها كنت فـى الحادية عشرة من عمرى، واعتبرت أن ذلك تطورا فرحت به، وما زلـت لا أعترض على هذا المكان ولكن مرض والدى ووالدتى أعـز الأعزاء على قلبى بالروماتيزم، هو ما جعل قلبى يعترض، ثم ما لبث أن اعترض عقلى أيضا، وعندما قرأت رسالتك اعترض لسانى.

ففى هذا المكان الرطب الذى تتفتت حوائطه من الرطوبة سأفقد أحب مالى فى هذه الدنيا، وعندما تنسد ماسورة المجارى هل تعلمين كيف يصلحونها، إنهم يفتحون الماسورة من المنور الذى تطل عليه حجرتانا والمطبخ. وعندما تنفتح المواسير ينزل ما بها على فراشنا وعلى

طعامنا، وتبكى العزيزة الغالية أمى وهى ترمى بالطعام وترفع الأوساخ عن الفراش.

إن ما يؤرقنى هو كيف أسعد والدىَّ وأن أرفعهما من هذا المكان إلى مكان آخر به شمس وهواء، حتى أريحهما من العذاب الذى يعانيانه. إن نظرات اللوم أراها كل يوم فى عينيهما.. وماذا بعدِ أن أصبحت فى هذا المركز أما آن لنا أن نستريح؟ وأريد أن أقول لها هناك فرق كبير بين العلم والمال. أنا أملك العلم وعندى طاقة كبيرة للعمل العلمى ولكن ليس هذا هو الطريق للمال، أى أننى مثلك يا فتاتى "مافيش فلوس راضية تيجى أبدا. كأنها تكرهنا"! وأقول لك الحق إننى لست حريصة عليها لنفسى ولكن من أجل أمى وأبى.

منذ أيام كان عيد الأم ورجعت المنزل فوجدت أمى تبكى وتطلب من الله أن ينعم عليها بشقة بعد أن رأت أن حائط إحدى الغرف قد تهدّم من الرطوبة، إنه يحتاج إلى إصلاح جديد، على الرغم من أننا قمنا بإصلاحه من فترة قصيرة، ولم أملك إلا أن أمسح دموعها بيدى، فماذا قدمت لها بعد هذا الحرمان؟ وهل تكفى الجنيهات التى أقبضها فى المساهمة فى المعيشة الغالية وفى كتبى ومواصلاتى وملابسى ومساعدة أبى على متطلبات الحياة؟ ماذا قدمت لهما حتى يشعرا بثمرة تعبهما؟ إن الحصول على شقة لهما يحتاج إلى وقت طويل جدا ربما أكثر من عمرى،

فهل سيعيشان حتى أرد لهما جزءًا ضئيلا من جميلهما، إن هذه الفكرة تعذبنى وتبكينى كيف ومتى أحقق لهما حلمهما؟ إن أمامى طرقا كثيرة ملتوية لا أقول إنى سأؤذى نفسى بالانحراف فقد تربيت على الدين والفضيلة، ولكن أمامى أن أعطى دروسا خصوصية وهذا سوف يؤذى غيرى ولكن نفسى تأبى إلاَّ الحلال، وصدقيني يا صديقتى أننى لا أستطيع أن أسلك أى طريق غير طريق الحلال.

هناك حل آخر ولكنه ليس بيدى، إنه بيد واهب الحياة والموت.. هذا الحل أن تقوم الجامعة بصرف مكافأة وفاتى، وذلك بعد أن أموت فيقوم والدى بدفع خلو لشقة من هذه المكافأة، ولكن هل يملك الإنسان لنفسه النهاية؟ هذا آخر ما فكرت فيه! إذًا كيف أمسح دموع أمى يوم عيد الأم وأن أقدم لها هذا الطلب المستحيل؟.

لقد انتهيت من الكلام مع صديقتنا فتاة قاع المدينة، والآن أشكرك على الرد الذى رددته عليها، فأنا مثلها لا أريد أن أهدر رحلة كفاحى المريرة ورحلة كفاح أبى وأمى وإخوتى حتى ولو بتصرف أخجل أن أتفاخر به أو أذكره أمام الناس، نعم لست وحدى التى أعانى وربما هناك مآس أكثر مما أنا فيه، ولسوف أصبر مادام فى الدنيا أناس شرفاء طيبون يقدمون يد المعونة إلى غيرهم، سواء بالقول أم العمل وأنا أؤيدك فى أنه لابد أن ننظر للإمام دائما بوجه مبتسم، حتى ولو ظن بنا

البعض البله. وعلى الرغم من إيمانى بكل ما قلته وعلى الرغم من تصميمى على العمل بما فيه، يبقى سؤال يلح فى خاطرى: كيف أسعد والدى ووالدتى قبل أن تحجبهما عنى الدنيا أطال الله فى عمرهما؟.

توقيع .....

ملحوظة: آسفة لأنى لم أوقع باسمى الكامل لكنى على استعداد لكتابته إذا قبلت ضمى إلى قائمة أصدقائك على الورق.

هذه هى الرسالة التى توقفت أمامها طويلا وأحسست باحترام شديد لكاتبتها، ترى كم من الناس من نحس تجاههم بمثل هذا الاحترام؟ إننى أكاد أشعر من بين سطور هذه الرسالة أن كاتبتها طبيبة تعالج آلام البشر وتعود مرضى سكان العمارة والذين يلقون على أهلها بالنفايات من نوافذ المطبخ، ومع ذلك فهى لا تتخلى عن واجبها فى زيارة مرضاهم وعيادتهم، أليس هذا مبررًا آخر للاحترام. ثم كيف لا أتوقف طويلا أمام هذه النفس الشفافة الخالية من المرارة ومن العقد تجاه الآخرين رغم الكفاح والآلام، أو أمام هذه النفس المحملة بالأمل والتفاؤل وبالرغبة فى العطاء والعمل والكفاح رغم الظروف غير المواتية.

وماذا يدعو للاحترام وللإعجاب والحب أكثر من أن تكون مشكلة هذه المعيدة أنها عاجزة عن رد الجميل لأبيها المكافح وأمها؟ لأن هناك فرقا بين العلم والمال ولأن تفوقها العلمى لا يحقق لها إمكانية الحصول على شقة فوق سطح الأرض أى وفاء وأى عظمة؟ حسبت أنك ستقولين لى إنك مشغولة بالحصول على شقة لنفسك أو

إنك مشغولة بالحصول على فرصة ملائمة لزواج لائق، لكنك كنت أفضل كثيرا من أى توقع، تحسين بالقهر وبالعجز عن تحقيق أمنية الشقة لأمك وأبيك وتسألينني كيف تردين لهما ما قدماه فماذا أقول لك؟ هل أقول لك إن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وأنك تردين لهما الكثير بالتزامك الطريق السليم فى حياتك، وبرفضك للخطأ ولكل مال غير حلال، أليس فى كل ذلك ما يرد لهما صنيعهما؟ وألست أنت أكبر ثروة يمكن أن يحققها والداك فى رحلة حياتهما؟ إننى مع ذلك لست متشائما فلعل فى ظروفك ما يضعك على أول الطريق الطويل للحصول على شقة فوق الأرض، بخلو معقول أو فى المساكن الشعبية بعد انتظار مهما طال فهو محقق للآمال فى النهاية.

يا آنستى إنى أشكرك على رسالتك وأرحب بصداقتك وأتشرف بمعرفتك.. وأشعر أنى قد ازددت تعرفا على الجانب الخير من الحياة بعد قراءة رسالتك القيمة هذه.

أما فتاة القاع التى كتبت عنها فى الأسبوع الماضى فقد تلقيت بشأنها استجابتين بشأن مشكلتى العمل والعلاج إحداهما من أستاذ جامعى صديق قديم لبريد الأهرام، لذلك فإنى أدعوها للاتصال بى لحل مشكلتيها.. وإلى اللقاء.

أكتب إليك هذا الرسالة وأنا طريح الفراش. فلقد أتاح لى المرض فسحة من الوقت فكتبت لك بضعة سطور عن تجربتى فى الحياة، قد تكون مرشدة لمزيد من الأمل والتفاؤل للمعيدة الشابة التى نشرت رسالتها تعليقًا على رسالة فى قاع المدينة التى نشرت رسالتها منذ أسبوعين، وأنا بالمناسبة لست طريح الفراش بمرض خطير ولكن بنوبة انفلونزا.. تدعونى ظروفى الخاصة للاحتراس من مضاعفاتها..

ولن أقول لك فى البداية من أنا.. ولا ماذا أعمل.. لكنى سأقول لك فى البداية ولهاتين الفتاتين إننى نشأت فى ظروف معيشية لا تختلف كثيرا أو قليلا عن ظروفهما، لكنها تزيد عنها صعوبة فى أننى اكتشفت وأنا طالب جامعى فى ريعان الشباب أننى مريض بروماتيزم القلب، وقد أشارت كلتا الفتاتين إلى خوفهما من الروماتيزم بسبب سوء أوضاع المسكن الذى تعيشان فيه، وهما محقتان فى ذلك، لكنه ليس نهاية الدنيا كما ستؤكد لك قصتى بعد حين.. ففى ذات يوم ما زلت أذكره حتى اليوم اكتشفت إصابتى بمرض القلب المزمن وكان أحد أيام عامى الثالث فى الجامعة، وكنت قد سافرت من القاهرة إلى طنطا حيث إدارة التجنيد التى أتبعها لإجراء الكشف الطبى...

وستسأل لماذا أسعى إلى التجنيد فى العام الثالث من الجامعة قبل أن تنتهى دراستى فأقول لك إن الدافع لذلك كان الرغبة فى دخول الجيش قبل انتهاء الدراسة لكى تنتهى فترة التجنيد مع انتهاء الدراسة فأحصل على شهادة إتمام الخدمة مع الشهادة الجامعية فى يوم واحد، وبذلك تتاح لى فرصة الحصول على عمل فى أسرع وقت لحاجتى الشديدة إلى العمل.

فلم يكن تعليم الأبناء فى أسرة والدى بالشىء المرموق فى ذلك الوقت، لذلك كان سعيه الدائم وبكل الوسائل الكريمة وغير الكريمة إلى دفعى للعمل وترك الدراسة، ومن هنا نشأت لدى فكرة دخول الجيش لأوفر عليه بعض نفقاتى، ولأقصر المسافة إلى العمل بعد التخرج، فحملت حقيبتى التى تضم كتبى الجامعية وسافرت إلى طنطا، ففوجئت وعلى غير المتوقع برفض تجنيدى.. وفوجئت بدلا من إلحاقى بالخدمة العسكرية بشهادة إعفاء نهائى من التجنيد سألت فى دهشة: لماذا؟ قالوا لأنك مريض بتليف الصمامات من أثر روماتيزم القلب الذى أتلف الصمامات وأصاب عضلة القلب بالتضخم.. عدت من طنطا مهزوما كمن خسر كل شىء وسدت أمامه كل الأبواب فهذه الشهادة اللعينة قد سدت أمامى باب العمل بالشهادة الثانوية، وبدأت الهواجس تتسلط على كيف أستطيع مواصلة دراستى

الجامعية وأين أجد العلاج الطبى السليم لحالتى الصحية؟ ومن أين أجد تكاليفه؟

وعشت أياما لا أعرف النوم، وزادت حالتى النفسية سوءا حين ظهر عبد الحليم حافظ فى نفس الفترة فى فيلم أظن أن اسمه كان "يوم من عمرى" يؤدى فيه دور شاب مريض بالقلب يموت فى نهاية الفيلم رغم سفره للخارج ورأيت نفسى كثيرا فى صورة هذا الشاب.. وأن كنت لا أستطيع السفر إلى الخارج للعلاج.. ومضت الأيام وأنا أعيش هذه الصورة وهذه الهواجس حتى أسودت الدنيا أمامى.. ثم تداركت نفسى بعد قليل حين أدركت أننى لم أعد بانهيارى هذا أؤذى نفسى وصحتى فقط وإنما أوذى أيضا أبى وأمى اللذين أصبح الدعاء المفضل لهما منذ ذلك الحين هو أن يختارهما الله قبل أن يختارنى.. ومن المؤسف حقا أن أمنيتهما قد تحققت فرحلا منذ سنوات قليلة وكنت فى ذلك الوقت خارج مصر.

واستجمعت إرادتى وسلمت بإرادة الله.. وسلمت إليه أمرى.. وأرجعت إليه كل شىء ووضعت لنفسى دستورا نفذته بأمانة هو أن أعمل وأعيش ليومى فقط، وأن أترك الغد لمشيئة الله ولإرادته، فكان من نتائج إيمانى بهذا الدستور أنى عشت عقب اكتشاف المرض أكثر من ربع قرن حتى الآن انتهت بحصيلة ذاخرة بنعم الله هى:

- استكمال دراستى الجامعية ثم دراستى العليا إلى حد شغل درجة الأستاذية الكاملة فى الجامعات الأجنبية والجامعات المصرية.

- تأمين الضمانات المادية لى ولأسرتى إلى حد الاطمئنان على مستقبل أبنائى دون خوف عليهم من آثار مضاعفات مرضى ونتائجه.

- زرع حب العلم والدراسة فى كل أفراد أسرتى بصرف النظر عن علاقة هذا العلم بعائده المادى.

- زرع النفور فى قلوب كل أفراد أسرتى ممن يسلك أى سلوك يستثير به الشفقة على حالته الاجتماعية أو المادية بصفة عامة فالشفقة فى نظرى لا يستحقها إلا العاجزون عجزا كليا عن كسب قوت يومهم. وأذكر فى هذا الصدد جلسة ضمتنى فى بداية حياتى العملية مع زميلين راح كل منهما يروى عن معاناته وآلامه فى حياته كطالب فروى الأول أنه كان يرتاد مستشفى الطلبة بصفة دائمة ليحصل على بعض الأدوية فيبيعها ليطعم نفسه من ثمنها. وروى الآخر ظروف حياته الصعبة واضطراره للعمل فى مدرسة ليلية لينفق على تعليمه، وعلى إخوته البنات بعد والده. وخجلت أنا من رواية معاناتى خجلا من مقياس المقارنة! وقد شاء الله أن يغدو هذان الزميلان أيضا من أساتذة الجامعات المرموقين.

وقد شاءت إرادة الله أن تكون العقبة التى حالت دون حصولى على

عمل فى مصر، هى التى فتحت أمامى أبواب الخير فى مكان آخر. فلقد أعيتنى الحيل للحصول على وظيفة ملائمة فى بلدى بعد حصولى على الشهادة الجامعية، فشاء الله أن أعمل فى إحدى بلدان وسط أفريقيا.. وعشت سنوات عديدة فيها، تحملتها فكانت فاتحة خير عميم، وعدت بعدها إلى بلادى وتوليت فيها الوظيفة الملائمة..

هذه يا سيدى قصة كفاح حقيقى لا تتعلق بى أو ببعض زملائى وإنما أظنها تخص عددا كبيرا من أبناء جيلى، أما قصتا الفتاتين فإنهما تتعلقان أساسا بأزمة الإسكان العامة فى بلدنا، وما عدا ذلك فإن فرصة الكسب أمامهما ليست صعبة المنال كما تعتقدان فيمكن للفتاة الحاصلة على دبلوم التجارة أن تعمل فى أى متجر خاص، وبراتب يبلغ ثلاثة أضعاف راتب الوظيفة الحكومية، ويمكن للمعيدة الشابة أن تعطى بعض الدروس الخصوصية فى الإطار المشروع، وبالتالى فإنهما لا تستحقان فى رأيى تعاطفك وشفقتك، والمهم فى النهاية أن تمتلك كل منهما القدرة على مضاعفة جهدها فى الحياة العملية، أما قصة المسكن غير الملائم فهى مع قصص أخرى فى النظام الاقتصادى المنظم والإنفاق السليم والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية المتوازنة لكل أبناء الوطن.

استاذ جامعى مصرى ح. أ. ج

ولكاتب هذه الرسالة أقول

تلقيت هذه الرسالة فى بريدى هذا الأسبوع بين عشرات الرسائل التى ما زالت تعلق على رسالتى فتاة قاع المدينة والمعيدة الشابة. وقد اخترتها للنشر لإعجابى بكاتبها رغم اختلافى معه فى بعض آرائه.. وأبدا بأسباب الإعجاب فأقول إنى معجب به لإيمانه ومعجب به لأنه لم يجعل من مرضه المزمن مأساة تنهى حياته وطموحه وتوقف مسيرته، وإنما آمن بأنه قدر الله وكما شاء فعل" وبأنه الذى لا يسأل عما يفعل فتجاوز هذا الموقف إلى التفكير فى حياته.. والتفكير فى كيفية اجتياز العقبات التى وضعت فى طريقه، ومعجب به أنه أدرك فى شبابه الباكر أن انهياره لا يؤذى نفسه فقط ولا يؤدى إلى تدهو حالته الصحية فقط، وإنما يؤذى أيضا من يحبونه، فتماسك واستعاد نفسه سريعا فكان تماسكه هو بداية انطلاقه واستكمال مشوار كفاحه، ومعجب به لاعترافه بفضل الله عليه ولإدراكه أنه حتى العقبات التى وضعت فى طريقه كانت سببا فى خير عميم ينتظره فى مكان آخر.

لكنى أختلف معه فى بعض أرائه وأولها أنى أشتم فى حديثة رغم تقديرى لكفاحه، روح الاقتناع السائد لدى بعض الناجحين من حيث

اعتبار الفقر مسئولية الفقراء وحدهم وليس مسئولية المجتمع الذى يعيشون فيه أولا، وهو تفكير يرجع أساسًا إلى عظيم احترام هؤلاء لكفاحهم مما يدفعهم للإيمان بأنه ليس من حق أحد الشكوى مما يعانيه، وإنما عليه أن يشقى ويكافح ليحقق ما حققوه هم، وهذا سليم فى أحد جوانبه.. لكنه ليس سليمًا على إطلاقه فى اعتبار الفرد مسئولا وحده عما يعانيه من سوء مسكن أو ظروف معيشية صعبة، متوقعين من كل إنسان أن يحقق وحده دون مساعدة من المجتمع الذى يتحمل أمانة المسئولية عنه، كل ما يحتاج إليه من أساسيات الحياة، وإلا كان ذلك بمثابة دعوة للجميع للكسب من أى طريق وبلا ضوابط، ولا أظن الاستاذ يقصد ذلك أو يرتضيه بدليل إشارته فى نهاية الرسالة إلى أهمية العدالة الاجتماعية.

كذلك فإنى اختلف معه فى أنه يأخذ علىَّ بشكل أو بأخر تعاطفى مع الفتاتين ونشر رسالتيهما، وليسمح لى أن أختلف معه فى ذلك أيضا فالرسالتان تلقيان الضوء على واقع شريحة اجتماعية عريضة فى بلادنا. ويريد الأهرام نافذة ينبغى أن تكون متاحة لكل الآراء ولكل الأصوات، والفتاتان فى رأيى تستحقان الاحترام لشىء أساسى هو تسمكهما بالقيم الأخلاقية رغم صعوبة حياتهما وخاصة المعيدة الشابة لخلوها من المرارة ولتفاؤلها.

وعلى أى الأحوال فإن اختلافى معه فى الرأى لا يقلل أبدا من إعجابى الشديد به ولا من استفادتى من رسالته التى اعتبرها "محاضرة" قيمة فى علم الحياة، محاضرة تذكرنى بالحكمة التى تقول "تجربة آلمتنى.. تجربة علمتنى" أى أن التجربة المؤلمة هى عادة التجربة التى ينبغى أن نتعلم منها وأن نستفيد منها مع تمنياتى له بالصحة واستمرار العطاء.

"أكتب إليك بعد أن تسلل النوم إلى عيون الجميع فى أسرتى ما عداى.. فمازلت مسهدة أبحث عن النوم ولا يبحث عني!

وأنا يا سيدى فتاة فى العشرين من عمرى بدأت قصتى منذ سنوات طويلة.. وبالتحديد قبل ولادتى بشهور، فقد ولدت بين أم وأب متزوجين ومنفصلين بعد شهور قليلة من الزواج بلا طلاق، ففتحت عينى على الدنيا فى بيت أسرة أمى.. ووجدت كل شىء متاحا لى باستثناء شىء واحد فقط وهو أبي!

فنحن أسرة ثرية وأبى كذلك، لكن الأقدار شاءت ألا يتوافق العروسان الجديدان بعد شهور قليلة من الزواج، فعادت أمى إلى بيت أسرتها واستمرت الحال هكذا إلى أن ولدت. وبعد ولادتى مرت ٤ سنوات وفشلت خلالها كل محاولات الصلح بينهما وقرر أبى أن يسافر للعمل فى الخارج.. ويبدوا أنه أراد أن يرانى قبل سفره فجاء إلى البيت ودفعونى إليه ففزعت ولم أتعرف عليه كما قيل لى حين كبرت، ثم رحل الأب إلى أوروبا وكبرت أنا فى رعاية أمى ودخلت المدرسة وبدأت أفهم أشياء كثيرة.. وبدأت أحس بحنين غريب إلى رؤية أبى الذى لا أتذكر شيئا من ملامحه.

وبدأت أحلامى تتركز فى أن أراه ولم يعد يشغلنى فى الحياة شىء أهم من أن أرى أبى وأن أحتفظ به فلا أسمح له بالسفر مرة أخرى.. أما هو فلم يتذكرنى سوى خلال العامين الأولين من اغترابه فكتب إلى عدة بطاقات وأنا طفلة صغيرة مازلت احتفظ بها حتى الآن، وحين بلغت الخامسة عشرة حدثت لى مفاجأة زلزلت كيانى.. فلقد ذهبت لزيارة بعض أقاربى بالمصادفة فاستقبلونى بترحاب غير عادى ووجدت لديهم ضيفا فخم الهيئة والملابس والجميع يرحبون به باحترام شديد.. ووجدت نفسى بلا إرادة أنجذب إليه وأشاركهم الاهتمام به بلا سبب واضح ووجدتنى أرقبه طويلا فى اهتمام وشوق.. ثم قال لى أحد أقاربى فجأة مشيرا إلى هذا الرجل المهم تقدمى وقبلى أباك يا منى! وتزلزل كيانى.. يا إلهى أهذا إذن هو أبى الذى أحلم به كل ليلة.. أهذا أبى الذى أتخيله يوما شابا ويوما كهلا.. وبدينا مرة.. ورشيقا مرة أخرى؟.

وخلال لحظات كنت قد استوعبت المفاجأة ووجدتنى أضحك بهيستيرية ثم أصرخ وأبكى ثم أضحك مرة أخرى ثم أقفز إلى أحضانه وأغرقه بالقبلات فى كل مكان واختبئ فى حضنه مغمضة العينين ودموعى تنساب من بين رموشى والجميع يبكون فى صمت.. والعجيب يا سيدى أننى لم أعاتبه لأنه أهملنى كل هذه السنوات أو لأنه فارقنى وأنا ابنته الوحيدة كل هذه السنين وإنما أحسست أننى قد

ملكت الدنيا وأنا معه ولا أريدها أن تضيع منى مرة أخرى.. فأمسكت به من ملابسه وقلت له لن أدعك تضيع منى مرة أخرى، أنت تعلم أننا لسنا فى حاجة إلى مال لكنى فى حاجة إليك أنت فلا تتركنى مرة أخرى يا أبى. ولم أتركه بالفعل إلا وهو يعود معى الى بيت الأسرة الذى أعيش فيه مع أمى.. زوجته التى لم يطلقها حتى الآن، وكانت أياما سعيدة مضت كالأحلام ثم سافر إلى أوروبا مرة أخرى على وعد بألا تنقطع صلته بنا بعد ذلك أبدا مهما غاب عن مصر، ومن أوروبا أرسل لى كل ما تحلم به فتاة فى سنى وراسلنى.. وحادثنى فى التليفون كثيرا وجاء إلى مصر بعدها عدة مرات وفى كل مرة تتكرر السعادة وتتكرر الأحلام وأصبح أبى هو كل حياتى، وحين كان يأتى كنت أتوقف عن كل شىء حتى عن دراستى فى الكلية العملية التى التحقت بها ونقضى نهارنا فى حديث مستمر ونزهة لا تنقطع. ومرت الأيام وهو مستمر فى سفرياته وتنقلاته يذهب ويعود إلى أن جاء يوم حدث فيه احتكاك لا داعى لذكر تفاصيله بينه وبين أحد أقاربى فاشتعلت نار لا أعرف من أين جاءت فثار ومزق صورتنا الوحيدة التى تجمع بينى وبينه وبين أمى ثم حمل حقائبه وهجرنا مرة أخرى بغير أن يترك عنوانا أراسله عليه وبغير أن يتيح لى فرصة رؤيته وإطفاء النار المشتعلة.

واختفى أبى مرة أخرى من حياتى وكأنه لم يكن، ومضت الأيام

ثقيلة وأنا فى انتظاره ثم سمعت ذات يوم وكان قد مضى عام طويل على آخر لقاء معه، أنه قد جاء إلى مصر وزار مدينتى الإسكندرية ولم يحاول أن يرانى أو يخاطبنى بالتليفون لأطير إليه حيث يكون.. فانهرت فجأة ومددت يدى إلى علبة الأقراص المنومة وابتلعت كل حبوبها.. وأنقذنى الأهل.. تعذبت كثيرا خلال عملية إنقاذى.. أما هو فقد سافر واختفى فى الدنيا الواسعة، إننى أكتب إليك هذه الرسالة لأطلب منك أن تدلنى على طريق أعرف به عنوان أبى لأن أقاربه لا يعرفون له عنوانا أو حتى مقر إقامة فهو ينتقل بين تونس وفرنسا وسويسرا وألمانيا وإيطاليا ويوغسلافيا والنمسا وهولندا، وقد دخت بين السفارات والقنصليات فلم أتوصل إلى شىء. وأرجوك أن تبحث معى عن أبى لأنى واثقة أنه إذا رآنى ورأيته سوف ننسى كل شىء وأرجوك إذا عرفت عنوانه أن تقوم بالتوفيق بين ثلاثة قلوب حطمتها الأيام لتعود إلينا السعادة وأرجوك أخيرا ألا تنصحنى بأن أكيف حياتى على ما هى عليه الآن لأنى لست على استعداد لذلك..

منى..

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

إننى بالرغم من أننى لا أعرف على وجه التحديد كيف أستطيع أن أساعدك فى العثور على أبيك.. ولا كيف أستطيع أيضا أن أوفق بين ثلاثة قلوب حطمتها الأيام كما تقولين، فإنى لا أملك سوى أن أحاول إذا تلمست الطريق إلى ذلك وعلى المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح، فأما العثور عليه فلا أمل فيه سوى أن يقرأ قصتك هذه بعض قراء الأهرام فى هذه الدول فيعرضون مشكورين التطوع للبحث عن أبيك فى الدول التى يقيمون فيها، لذلك فإنى أرجوك أن تكتبى إلى باسمه الكامل وبأسماء المدن التى يرجح أن يزورها وسأبعث بهذه البيانات إلى من يطلبها منى من قراء البريد، وأما التوفيق بين القلوب الثلاثة فيتوقف أولا على التوصل إلى أبيك وفى هذه الحالة فإن رسالتك وحدها ستكون أبلغ من أى كلام يمكن أن يقال فى هذا الصدد، ولو أتيح لى أن أتصل به فلن أفعل أكثر من أن أقدم له رسالتك وأن أقول له يا سيدى إن من "البطر" أن يكون للإنسان مثل هذه الابنة المحبة بل المدلهة بحبه ثم يقطع ما بينه وبينها مهما كانت الأسباب.. ومهما كانت الظروف.. بل ومهما كانت المسئوليات الجسام

التى تتحملها.. حتى ولو كنت تدير شئون الكون كله من عواصم العالم! وسأقول له أيضا إن هناك أشخاصا بلغوا قمة النجاح، لكن نجاحهم لا يساوى فى نظرهم شيئا لأنهم محرومون من كلمة حب صادقة من أبنائهم، كهذه الكلمات التى تنسجها لك من ذوب قلبها ابنتك الشابة، ولو خيرت بعض هؤلاء الأشخاص بين نجاحهم وبين كلمة حب مخلصة من ابن عطوف أو ابنة صادقة الحب لباعوا الدنيا وما فيها بمثل هذه المشاعر الإنسانية.. بل إنى سأقول له أيضا إنى أعرف آباء قدموا لأبنائهم الكثير ومازالوا وبالرغم من ذلك فقد يتسولون منهم الحب والاهتمام والرعاية فلا يجدونها لديهم.. فلا تكن كفورا.. جاحدا لنعمة ربك ولا تذكرنا من جديد بشخصية "الرحيمي" بطل قصة الطريق لأستاذنا نجيب محفوظ "الذى يلهو فوق الكرة الأرضة ناسيا وراءه ابنا لا يعرفه" فلقد ظننت أنها شخصية خيالية لا تتكرر حتى تلقيت رسالة ابنتك فعرفت منها أن الواقع كثيرا ما يكون أكثر غرابة من الخيال!

اسمح لى فى البداية بأن أعرفك بنفسى: فأنا يا سيدى طبيبة وأستاذة جامعية ناجحة فى عملى وفى حياتى الاجتماعية، محبوبة والحمد لله من كل من أتعامل معه فى مجال عملى أو علاقاتى الاجتماعية. وزوجى أستاذ وطبيب ناجح جدًا ونابغة فى مجاله كما أنه شخصية اجتماعية ناجحة ممتازة ومحبوبة جدا من كل من يتعامل معه. وقد تزوجنا بعد قصة حب عنيفة خلال دراستنا فى كلية الطب، واختار كلانا الآخر عن حب واقتناع، وبدأنا طريق الكفاح لنبدأ حياتنا معاً ولنستكمل دراستنا العليا.. فبنينا عشا جميلا وأنجبنا ولدين، وسافرنا فى بعثة إلى الخارج للحصول على الدكتوراه.. وعدنا معا إلى مصر فتسلم كل منا عمله المرموق وبدأ هو يبنى مكانته وشهرته وبدأ بتجهيز عيادة أشرفت على كل ورقة فى تأثيثها لكى يتفرغ لمشاغله العديدة. وبدأ حياته العملية ووصل خلال سنوات معدودة إلى نجاح كبير..

٥ ومن حقك أن تسألنى بعد ذلك وأين هى المشكلة فى كل ما تقولين، فأقول لك إن زوجى المحبوب رجل له فلسفة خاصة فى الحياة وهى أن الزواج نظام اجتماعى فاشل، وأن الأبناء مسئولية لا مبرر لها.. وأن من حق الرجل أن يعيش مرة واحدة

لا مرتين وبالتالى فقد أعفى نفسه من كل مسئولية تجاه زوجته وابنيه ماعدا وجها واحدا من وجوهها هو المسئولية المادية فقط.

والحقيقة أن القصة لها جذور عميقة.. فقد اكتشفت بعد زواجى بثلاثة أعوام أن زوجى رجل"فراشة"، يحب أن يطير من زهرة إلى زهرة ليرشف رحيقها ولا يرى فى ذلك عيبا أو إخلالا بمسئوليته تجاه زوجته، وقد اكتشفت أولى نزواته بعد ثلاث سنوات من الزواج واستمرت عاما كاملا عاد إلىَّ بعدها تائبا ونادما. ولكن أى ندم وأى توبة؟ فبعدها سافرنا للخارج وهناك تكررت نزواته طوال سنوات البعثة. وصبرت متصورة أنه كما يقولون طيش شباب سيفيق منه بعد حين. لكن المشكلة استمرت بعد ذلك إلى مالا نهاية فهو يخرج من نزوة إلى نزوة.. وخلال كل نزواته يبتعد عنى تماما إلى أن تنتهى فيعود لكننا لم ننفصل خلال هذه المرحلة كلها، فقد كان يكتفى بأن يتجنبنى إلى أن تزول الغمة.. فأفرح بعودته إلىَّ وأغفر له كل ما صنع وأتوقع أن يعوضنى الله خيرًا عما فات إلى أن كانت النزوة الأخيرة فقد عرف زوجى - سامحه الله وغفر له - زميلة له فى مجال العمل تقف بينه وبينها حوائل عديدة لا داعى، للإشارة إليها.واستغرق فى قصته معها إلى آخر مدى، واحترم الرجل "تقاليده" معى فى مثل هذه الحالة فابتعد عنى تماماً، فصبرت عسى أن يفيق من غيه.. لكنه على العكس من ذلك أقدم على خطوة لم يقدم عليها من قبل وهى ترك البيت نهائياً،

واستأجر شقة بعيدة وبدأ فى تأثيثها ليحيا فيها منفرداً، ليتفرغ لحياته الجديدة.. فأصبحت بذلك لا أراه إلا مصادفة حين تجمعنا إشارة المرور هو فى سيارته وأنا فى سيارتى وكلانا فى طريقه إلى عمله.. وبالرغم من كل ما صنع بى فإنى فى كل مرة أجدنى البادئة بتحيته، فيرد التحية باقتضاب، ثم ينطلق بسيارته فى الزحام.. وأمَّا أنا فأقود سيارتى والدموع تنساب من عينى.. وأدخل المدرج لأدرس لطلبتى وأنا فى أسوأ حال.

حاولت مناقشته فرفض مبدأ المناقشة قائلا لى قد انتهينا ولا مبرر لإطالة الحديث فى هذا الموضوع.. طلبت منه أن يحاسبنى عن أخطائى إذا كنت قد أخطأت فى حقه فرفض، طلبت منه أن نصبح أصدقاء نتلاقى فى المناسبات الاجتماعية من أجل الأبناء فرفض!

سألته عن مصيرى معه فقال لى لك الحرية فى أن تتزوجى فى هذه الشقة.. ولك الحرية فى أن تحتفظى بالأولاد.. أو تدعيهما لى إذا حال وجودهما معك دون زواجك!

وبالرغم من أنه قد مضى الآن حوالى عام على هذا الحديث فإنى لم أطلب منه الطلاق حتى الآن. لكن حديثه هذا آلمنى وجرح كبريائى إلى حد أنى لم أجد ملاذا لنفسى سوى إنهاء إجراءات العمرة خلال أيام والسفر لأدائها.. وهناك- وربما لن تصدقنى - دعوتُ له بأن

يهديه الله.. ودعوت للأخرى بأن يهديها وأن تعود إلى حياتها الأولى بعيدًا عنه.

والغريب أننى بعد هذا الحديث ورغم السلوى والعزاء فى العمرة بدأت أشعر وأنا الأستاذة الجامعية أننى فقدت تماما ثقتى فى نفسى وبدأت أتساءل.. ماذا لديها وليس لدى!.. ماذا تعطيه ولا أعطيه له إننى من أسرة كريمة متمسكة بالتقاليد وبالقيم، وأنا كما يقولون لى جميلة لم أفقد رغم الأهوال التى عشتها جمالى الذى بهره فى يوم من الأيام.. وأنا أنيقة يشهد لى زملائى وزميلاتى بسلامة ذوقى فى اختيار ملابسى، وأنا محبوبة يقول عنى تلامذتى وزملائى إنى طيبة القلب وحلوة الحديث، ولا أتوانى عن مساعدة أى إنسان يطلب معاونتى، وأخيراً - واعذرنى لهذا التعبير فانا طبيبة أولاً وخيراً - "سليمة" التكوين الجسمانى والنفسى كزوجة.. فماذا يعيبنى إذن.. ولماذا يحبنى الناس جميعاً ماعدا الإنسان الوحيد الذى أحبه وأريده أن يحبنى؟ لقد عرفته وعمرى ١٧ عاما، ولم أعرف الرجل إلا فيه، ولم تر عيناى غيره منذ عرفته حتى الآن، إنك قد تتصورنى"نكدية" أتشاجر معه فى الأماكن العامة كلما أحسست بالغيرة عليه أو أحاسبه حسابا عسيراً كلما تسربت إلى أنباء مغامرة جديدة له. لكن ذلك غير صحيح والله فخلال عشرين سنة عاشرته فيها حتى الآن لم يرتفع خلالها صوتى مرة واحدة عليه وكل مناقشتى معه كانت هادئة.. ولم أكن أحتمل أن

أسمع منه كلمة"آسف" حتى أنسى كل شيء وأعود إليه بكل كيانى. والآن وصلت يا سيدى إلى مفترق الطريق وأريد مشورتك فيه. إن الواضح أن النزوة الأخيرة ليست ككل النزوات! وواضح أنه لن يفيق ويعود الى إلى بيته وقبل سنوات طويلة ولا يريدنى.. ولكنه لا يريد أن يبدأ هو بطلاقى منتظراً"كجنتلمان" أن تأتى الرغبة منى أولاً.. وأبنائى من جهة أخرى لا يريان غضاضةً كبيرة فى انفصالى عن أبيهما وزواجى من آخر، فقد نصحنى ابنى الشاب فى ذلك بعد أن لمس معاناتى ووحدتى. لكنى أفكر وأرجوك أن تفكر معى.. هل لو انفصلت عنه بالطلاق تكون صدمة الطلاق أو هذا الطلاق سببا كافيا لكى يرجع إلى عقله ولو بعد حين فيعود إلىَّ وإلى ابنيه؟ وهل لو حدث الانفصال سأجد من يقبلنى بوضعى الحالى سيدة على شفا الأربعين معها ولد وبنت فى سن المراهقة أم هل ترى تنصحنى بأن أصبر إلى أن يعود إلى بعد أى عدد من السنين بعد أن تهدأ العواصف ويثوب إلى رشده.. وإذا حدث ذلك كم من العمر؟ سيتبقى لى لكى أعيش معه وماذا سأجد عنده حين يعود فى أواخر العمر وهل تعتقد أنى سأجد فى نفسى القدرة على العطاء له مرة أخرى بعد أن جفت أوراقى فى انتظاره؟

وماذا تنتظرين يا سيدتى بعد كل ذلك لتختارى بين حياتك وبين ضياعك اللانهائى. وأى طلاق هذا الذى تقفين أمامه مترددة: إنك "مطلقة" بالفعل وإن لم تتخذى بعد إجراءات الطلاق!.. لقد هجرك زوجك واستقل بحياته عنك وإن كان يلتزم بمسئوليته المادية عن ابنيه وهو متفرغ لحياته وتطبيقاته العملية للفلسفة الأبيقورية التى يعتنقها فيما يبدو فهو رجل "تلذذى" يتعامل مع الحياه بطرف لسانه يذوقها.. ويحكم عليها بحاسة الذوق فقط أما الاعتبارات الأخرى فلا قيمة لها عنده! وهذا شأنه، وحسابه مع ربه وليس معك.. ثم هو يسهل عليك الأمر لكى تنصرفى عنه إلى زواج آخر.. وابناك متقبلان فكرة زواجك، والجميع يعرفون كم عانيت وكم صبرت.. وكم انتظرت فماذا تنتظرين؟ إننى أعرف كم هو صعب عليك أن يحرم الإنسان بلا ذنب له ممن يحب.. وأتصور أنه محفور داخلك وصعب عليك انتزاعه بسهولة من أعماقك.. لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، ثم ماذا يفعل الإنسان حين يصطدم بحائط صلب يسد الطريق أمامه؟ هل من المنطق أن يواصل الدق عليه برأسه ويديه لكى

يزحزحه من مكانه؟ أم من الأفضل أن يستدير عنه إلى طريق آخر.. والى حياه جديدة!

ابدئى يا سيدتى حياة جديدة.. قبل أن تنهار مقاومتك وتعرضى نفسك للضياع مع احترامى الكامل لك ولا تأسى كثيراً على ما راح، فما وقع لا يسئ إليك بقدر ما يسئ إلى من لم يقدر حبك وعطائك وإخلاصك له. ولا يسئ المرء ألا يجد تقديره لدى أحد معين من الناس.. فالجوهرة الحقيقية لا تقل قيمتها حين تقع فى يد من لا يكتشف أصالتها.. وإنما تبقى الجوهرة جوهرة إلى أن تقع فى يد من يقدرها حق قدرها، ومن يزيح عنها تراب السنين فتسفر عن سطحها الوهاج، فاستعيدى ثقتك بنفسك يا سيدتى.. وأنت الأستاذة الجامعية التى تهب الثقة فى النفس للآخرين انتظرى فترة قصيرة تكون بمثابة مرحلة انتقالية بين حياتين لتندمل الجراح ولتتخلصى تماما من أثر الماضى ومشاعره وعذاباته ثم ابدئى حياتك الجديدة وستجدين إن شاء الله من يمسح بيده على آلامك ومن يعيد إليك الابتسامة ويعوضك عما لقيت فى تجربتك المؤلمة، فهذا أفضل كثيرا من البقاء معلقة فى الهواء كما أنت الآن وأفضل كثيرا من الحياة على أمل اللقاء الخاطف بالمصادفة فى إشارة مرور مع من تحملين اسمه.. ولا تربطك به منذ سنوات أية صلة حقيقية بين زوجين! إنى آسف لهذا الرأى القاسى وهو ضد طبيعتى لكنى لا أرى لك رأياً غيره.. كما أنى لم أجد

نفسى ميالاً إلى أن أنصحك بأن تعيشى لأبنيك كما تفعل كثيرات لأنى أحسست من رسالتك أن بك رغبة كامنة لأن تأخذى نصيبك من الدنيا وهذا حقك لأن ابنيك يرحبان بهذه الخطوة ولا يعترضان عليها.. والى اللقاء ..

كأنى نأكت جرحاً قديماً فى قلوب كثيرين حين نشرت منذ أسابيع رسالة الطبيب الشاب الذى يشكو رفض زميلاته له لمجرد أنه مطلق أو صاحب سابقة واحدة فى الزواج والطلاق، فقد انهالت رسائل قارئات وقراء كثيرين يروون تجارب مماثلة ورسائل أمهات وآباء يعرضون على الطبيب الشاب التعرف عليه للتقدم لخطبة بناتهم المستعدات للقبول والترحيب به، ورسائل مطلقات يشاركنه عن بعد مشاعره ويقلن له إذا كان الرجال لا يستطيعون حل هذه المشكلة ويعانون منها فكيف تكون معاناتنا نحن معها، وأكثر من ذلك فقد تفضل بزيارتى آباء أفاضل يشغلون مراكز مرموقة يحبون التعرف على هذا الطبيب تمهيداً للتقدم للزواج من بناتهم، وكعادتى فى مثل هذه الظروف فإنى أطلب ممن يتقدم بمثل هذا العرض أن يكتب اسمه وعنوانه لأضمه إلى ملف الرسائل التى تلقيتها تعليقًا على هذه القصة، وأستأذنه فى أن أقدم عرضه مع غيره إلى صاحب الشأن على أن ينتهى دورى عند هذا الحد، وعلى أن يجرى الاتصال مباشرة بين الطرفين دون تدخل منى فإذا وفقهما الله إلى الخير فلعلى أسمع به من بعيد.

وأعود إلى قصة الطبيب الشاب فأقول إننى تلقيت رسائل عديدة تعليقًا عليها آثار بعضها شجونى، وأثار بعضها ألمى لكن إحدى هذه الرسائل هزت وجدانى بعمق لسبب هو أن كاتبها ليس أبًا أو أمًا لا يريان أية غضاضة فى السعى الشريف لإيجاد زوج للابنة لكنه شقيق على درجة عظيمة من الثقافة والتعليم والثراء، وشقيق أعزب لم يوفق للزواج حتى الآن لكنه غير مهموم بذلك وإنما مهموم أساساً بإيجاد الزوج لشقيقته قبل العثور على الزوجة لنفسه، وهذا وحده يكفى لكى أحبه وأحترمه بلا سابق معرفة .

تقول كلمات رسالته:

رغم مشاغلى العديدة كمهندس مدنى أعمل وأمثل مصر خير تمثيل فى مجال عملى، وسلوكى فقد رأيت أن أكتب لك معلقًا على رسالة الطبيب الشاب لأنها أثارت آلامى كثيراً فأنا يا سيدى أعزب حتى الآن رغم نجاحى فى حياتى، لكن ذلك لا يشغلنى كثيراً بقدر ما تشغلنى مشكلة شقيقتى التى تغربت معى فى السعودية لمدة ٥ سنوات عملت خلالها مدرسة للغة الإنجليزية.

والمشكلة أنها مازالت حتى الآن آنسة رغم تخرجها منذ عشر سنوات وبالرغم من أننا والحمد لله أسرة طيبة كافحت ليصل أفرادها إلى مراكز طبية فإننا ثلاثة أطباء ومترجمة ومهندس والحمد لله فحالتنا

المادية جيدة وشقيقتى هذه كريمة الخلق متدينة وسلوكها حميد بفضل الله لكن المشكلة هى ماذا يريد شباب مصر فى الزوجة المطلوبة ؟ إن شقيقتى هذه تتوافر فيها الصفات الأربع المشهور وهى جمال ومال وشباب وأخلاق فما الذى يريدونه أكثر من ذلك. قد لا تجد إجابة عن هذا السؤال لكنى من ناحيتى أستطيع أن أجيب عنه ببساطة قائلاً: لقد عميت الأبصار وكفى أن تجربتى فى الحياة تسمح لى بأن أفهم الأمور، وأنا أعرف أن هناك أزمة زواج فى العالم كله أو على الأقل فى العالم الثالث الذى لا أعرف غيره وقد سمعت أنه فى بعض الدول العربية يقوم الأب الذى لديه ابنه طال انتظارها للزوج بالإعلان عنها بنفسه فى المسجد عقب الصلاة وقد لا يخرج منه إلا وفى يده شاب يعانى نفس المشكلة ولا يجد الأب فى ذلك غضاضة فهو يسعى لستر ابنته بطريقة مشروعة .

بل وكذلك فعلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين زينت جارية لها وقالت لعلنا نتصيد بها فتى من فتيان قريش، أى نتصيد لها زوجاً كريماً وها أنا أنفذ ما فعلته وأعرض على هذا الطبيب الشاب أن نبدأ معاً بداية قد تكون غريبة لكنها صحيحة وسليمة ومشروعة فأدعوه إلى أن يفعل كما فعل الصحابى بنصيحة رسول الله، فقد كان يتخبأ لها ليرى من عرض عليه زواجها عن بعد قبل أن يتقدم لها وها أنذا أفعل الشيء نفسه، وأدعوه لأن يسأل عنا ليرى إن كنا نتكافأ معه

اجتماعيا أم لا؟ فإذا رأى ذلك فإنى أدعوه لأن يتقدم لها ليراها عن بعد فإن وافقه شكلها فإنى أرحب به عضواً فى أسرتنا المكافحة وهذا هو عنوان عملها فى مصر فلقد رأينا أن تعود إلى مصر لكى تجد فرصتها فى مجتمعها .

ولكاتب هذه الرسالة أقول

هذه هى الرسالة التى تلقيتها وأحببت كاتبها وأحترمه كثيراً والحق أنى قد جازفت بنشرها غير متأكد إذا ما كان النشر سوف يثير ضيقه أم لا ؟ وعذرى أنه لم يطلب منى صراحة عدم نشرها فرأيتها فرصة لكى أقدم للبعض صورة لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة الصحيحة بين الأشقاء من الإيثار والاهتمام بحياة الآخر والتنازل قليلاً عن بعض الإعتبارات فى مقابل إسعاد الآخرين، إننى أحيى فيك يا صديقى كل هذه الفضائل وأحيى فيك اهتمامك بسعادة شقيقتك ومستقبلها لكنى أهمس فى أذنك همسة صغيرة عن تساؤلك عما يريد شباب مصر ؟ فأقول لك إن الشباب فى بلادنا مثقل بالهموم والمشاكل وهو ككل شباب العالم يرغب فى الزواج وفى الحياة الطبيعية، لكن يده قصيرة وآماله تتحطم غالباً على صخرة شقة الزواج ولو حلت هذه المشكلة ولو بعد عمر طويل لخفت أو لاختفت أزمة الزواج فلا تظلم شباب بلادك فهم ضحايا وليسوا جناة وألف لعنة على أزمة المساكن التى لولاها ما بقيت فتاة ممتازة كشقيقتك دون زواج، ولما بقى شباب ممتازون آخرون بلا زواج ولا أمل فيه حتى الآن ..

أنا يا سيدى فتاة عمرى ٢٥سنة، وأنا أكبر إخوتى إذ أننا ثمانى بنات وأبناء، أمى سيدة طيبة فيها ملامح الأمهات الطيبات المغلوبات على أمرهن غالباً .. وأبى رجل ميسور الحال لكنه كبعض الرجال مشغول بذاته عنا، وقد تزوج أمى منذ ٢٨ عاماً، مضت رحلة حياتها بأيامها السعيدة وأيامها التعيسة. لكن الخطر البارز فى هذه الحياة كما وعيت واستطعت أن أدرك وأفهم هو أنانية الأب الذى لا يريد أن يضحى بشىء من راحته أو من رفاهيته لأبنائه وأعذرنى فى هذا القول فما أقاسيه يجبرنى على ذلك، فككل الأزواج كانت هناك خلافات عادية بين أمى وأبى وكانت تهدأ أحياناً .. وتنفجر فى أحيان أخرى لكن منذ ٣ سنوات تصاعدت حدة هذه الخلافات، فماذا تظن أن أبى قد صنع إزاء هذا الموقف ؟ لقد هجرنا ببساطة تاركاً وراءه هذه الأسرة كبيرة العدد بلا مال وبلا نفقة أو مبلغ شهرى نتعيش منه، وكلنا طلبة وطالبات فى مراحل التعليم ثم ذهب ليبحث عن زوجة جديدة لكى تعيد إليه شبابه الذى أضاعه بيننا، قد تقول إنها كارثة، لكنها تحدث أحيانًا وهى كذلك فعلاً، لكنها كانت أكثر من كارثة لأن أبى سامحه الله تركنا دون أن يفكر لحظة واحدة كيف سنكمل تعليمنا؟ ومن أين سنأكل وكيف سندفع إيجار الشقة؟ إلخ ولن

أروى لك تفاصيل حياتنا فى الشهور الأولى لهجرته لنا وسأقفز فوق هذا الفصل الحزين لكى أقول لك إننى حصلت على شهادتى الجامعية بعد هجره لنا بشهور، وكان عبثاً بالطبع أن أنتظر تعيين القوى العاملة لأن أفواه إخوتى لن تنتظر خطاب التعيين، فخرجت للعمل فى القطاع الخاص ووفقنى الله فى العمل فى إحدى الشركات براتب مجز وأنا منذ ٣ سنوات أعمل لمدة ١٤ ساعة كل يوم لكى أستطيع أن أفى بنفقات هذه الأسرة الكبيرة بعد أن عاهدت نفسى أن أعول إخوتى جميعاً، إلى أن ينهوا دراستهم والحياة تمضى صعبة أحيانًا وهنية أحياناً لكن تزداد قسوتها حين أتذكر أبى المنصرف عنا مع زوجته الجديدة دون أن يفكر لحظة فى ٨ أبناء، وهو القادر الميسور أو حين أتعرض لمضايقات أخى الأصغر الذى أتم تعليمه منذ عامين ومع ذلك مازال عالة علىَّ ولا يريد أن يعمل، وقد أنفقت عليه فى العامين الأخيرين له فى الدراسة وفى فترة الجيش وانتهى التجنيد، لكنه لا يريد أن يعمل، إلا عملاً لائقاً به . ويفضل أن يبتزنى فإذا رفضت أن أعطيه النقود لأن البيت فى أشد الحاجة إليه سبنى وأهاننى وهو لا يعنيه أن يجوع إخوته لكى يذهب هو إلى النادى ويسهر مع أصدقائه فيه، ورغم كل ذلك فأنا لا أشكو لأحد من حياتى بل لعلى أشعر فى أعماقى بالفخر، لأنى دفعت عن أسرتى الجوع والعوز والبهدلة والاحتياج للاقتراب والحمد لله فإننا منذ هجرنا أبى لم نحتج لأحد بفضل عملى وستسألنى ماذا أريد

إذًا؟ وسأقول لك أولاً .. إننى لا أريد شيئاً ولا أطلب مساعدة ولا عوناً من أحد، ولن أقبل ذلك أبداً لكنى أريد شيئاً أخر سأؤجله إلى حين بعد أن أصل بك إلى المشكلة .

المشكلة أن صاحب الشركة الخاصة التى أعمل بها وأتقاضى منها الراتب المجزى الذى يعول هذه الأسرة الكبيرة كان يعاملنى فى البداية برفق وبطيبة زائدة، وكنت شديدة الامتنان له لذلك وأعتبره تقديراً إنسانياً منه لظروفى الخاصة ومسئوليتى، ولكن بعد مرور الأيام وخصوصاً فى الأيام الأخيرة ظهرت النوايا واضحة فهو بصراحة تامة يريدنى رغم أنه زوج وأب لبنت وثلاثة أولاد هل تعرف معنى هذه الكلمة ؟ إنى واثقة من خبرتك بالحياة لكنى سأسألك سؤالاً أكثر صراحة هل تعرف ماذا يعنى رفضى رغبته رفضاً نهائياً .؟ إننى أيضاً واثقة من خبرتك بالحياة وبالعمل فى بعض مواقع العمل الخاص التى يكون مصير إنسانة فيها مثلى وأسرة من ورائها معلقة بكلمة من فم صاحب العمل، لكننى سأزيدك أيضاً خبرة بهذه المشكلة .. إن المعنى الوحيد لرفضى لرغبته هو أن أسمع بين لحظة وأخرى هذه العبارة فوتى على الحسابات خذى حسابك ولما نعوزك حنبعتلك، إننى لا أقول إن كل أصحاب الأعمال هكذا فهناك دائماً الفضلاء وغيرهم لكنى أشرح لك ما يحدث أحياناً فى بعض المواقع والحمد لله أننى لم أصل بعد إلى هذا الموضوع، لكنى الآن سيدى مهددة بفقد عملى الذى

لن أستطيع أن أجد عملاً مجزياً مثله، ولن أستطيع الاعتماد على أبى البعيد عنا أو على شقيقى الأصغر الذى يرفض العمل لكنى أيضاً لن أفرط فى نفسى ولو مت جوعاً بل ولو ماتت أسرتى كلها جوعاً .

وأنا أتجاهل وأتعامى وأتهرب، محاولة أن أطيل بقدر الإمكان فترة عملى حتى إذا وقع المقدور يصبح لا مفر من المرور على الحسابات وأريد منك إن تكرمت الآن شيئين لا ثالث لهما .

الأول : هو أن تشير على بما أفعل وبما يحفظ على كرامتى ونفسى ويدفع عنى وعن أسرتى شر الحاجة .

والثانى : وهو الأهم هو أن تنشر هذه القصة لكى يعرف بعض الآباء لأى مصير يتركون أبناءهم وبناتهم استجابة لنزواتهم أو أنانيتهم.

إنك ياصديقتى فعلاً فى محنة أعرف جيداً حجم أبعادها وأعرف جيداً مدى جدية التهديد الذى يهددك بفقد هذا العمل، لكنى غير قلق عليك لأنى واثق من أنك لن تسلمى نفسك أبداً للضياع .

فمن تنهض لتحمل مسئولية أسرة كبيرة العدد مثلك بلا ضجر ولا سخط على الحياة وعلى الأسرة نفسها ومن تعمل ١٤ ساعة يومياً لتعولها وتعاهد نفسها بأن تعول إخوتها جميعاً حتى يتخرجوا فى المدارس والجامعات وتفخر بذلك وتنكر ذاتها فى سبيل أسرتها، مثل هذه الشخصية لا يخشى عليها الإنسان من الضعف أمام العبث أو من الاستجابة لنزوة صاحب عمل، أو بيع نفسها بثمن بخس فأنت فتاة جادة شريفة يا صديقتى والفتاة الجادة لا تسلك هذا السبيل السهل مهما كانت المغريات، لذلك فإنى شديد الثقة بك على غير معرفة وستثبت الأيام صدق ظنى فيك إذن فهذه ليست القضية، وإنما القضية هى كيف تحافظين على عملك دون أن تخسرى نفسك وفى هذا المجال فإنى أتوقع شيئين إما أن ييأس منك صاحب العمل مع تأكده من جدية أخلاقك وجدية عملك وإحساسه بظروفك وحجم

مسئولياتك فيعفيك من مطالبه، ويبقى عليك وهو احتمال ليس بعيداً خاصة إذا شرحت له بأدب ودون إيلامه ظروفك العائلية وتمسكك بألا تخسرى نفسك مهما حدث، ورغبتك مع هذا فى الاستمرار فى العمل فقد يستيقظ ضميره ويدعك لشأنك ولا يخلو إنسان مهما بدا من تصرفاته من جانب إنسانى خير فى أعماقه ينتصر أحياناً.

أما الشىء الثانى فهو أن يستمر فى غيه وأن ينتصر جانب الشر فيه فلا يترك لك مجالاً للاختيار وسيكون اختيارك بالتأكيد لدينك ولكرامتك وشرفك ومستقبلك وفى هذه الحالة سوف أسألك من أين جئت باليقين أنك لن تجدى عملاً مجزياً مثله ؟ إذا تركت هذا العمل ؟ كيف تأكدت من ذلك قبل وقوعه ؟ إننا لا نعرف من أمرنا الكثير فكيف عرفت أنت ذلك ؟ لقد وفقك الله إلى هذا العمل الذى أنقذت به أسرتك فإذا شاءت الأقدار أن تفقديه فسوف يختار الله لك عملاً آخر فى مكان آخر وستجدين عملاً آخر ولو براتب أقل ولا بأس فى ذلك فدفاعك عن حياتك يستحق بعض التضحيات .

وإذا كانت التضحية ضرورية ببضعة جنيهات أقل فى الدخل فإن ما تدافعين عنه يستحق ذلك وأكثر منه، وربما لا تحتاجين إلى كل ذلك إذ قد يزيد دخلك بدلاً من أن ينقص، وأبلغينى بتطورات قصتك فلربما استطعت معاونتك فى هذا المجال، أما عن رغبتك فى نشر هذه

الرسالة ليقرأها أبوك ومن على شاكلته من الآباء ليعرفوا لأى مصير يعرضون أبناءهم فهذا حقك وهى رغبة نبيلة فى إيقاظ بعض الآباء من غيهم، لكن لا تشغلى نفسك كثيراً بهذا الأب المارق العابث اللاهى، وواصلى حياتك الكريمة الشريفة المعطاءة بدون الأسى عليه، فمثله لا يستحق أحزانك ويكفيك أنك أكثر أبوة لأبنائه منه هو الذى أنجبهم من صلبه، ولن أقول إنك أكثر رجولة منه خوفاً من أن يسئ إليك بغير قصد هذا التعبير .

أرجو ألا تفقد صبرك وأنت تقرأ رسالتى هذه فإن ما أشعر به جاثم فوق صدرى يدفعنى دفعًا لأن أطيل الحديث معك، هذا أو الجنون فاسمعنى أرجوك لأنى أريد حلا، هل تذكر هذا الفيلم الذى يحكى قصة زوجة معذبة تريد الطلاق من زوجها وتلطعت فى المحاكم للحصول عليه بلا فائدة، إنى أريد حلا مثلها تماما مع اختلاف بسيط هو أنى الرجل لا المرأة وهذه هى المشكلة:

فأنا يا سيدى محاسب عمرى الآن ٤٣ سنة وأحصل على راتب قدرة ٢٠٠ جنيه، وقد وصلت إليه بعد رحلة كفاح طويلة فقد بدأت حياتى العملية موظفا بمؤهل ثانوى صناعى وكنت طموحا فذاكرت للحصول على الثانوية العامة. وبدأت من السنة الأولى الثانوية وذاكرت لمدة ثلاث سنوات حتى حصلت على شهادة إتمام الدراسة الثانوية بمجموع بسيط، فالتحقت بمعهد لإعداد الفنيين التجاريين أملا فى الحصول على تقدير جيد جدا فى أول سنة فيصبح من حقى التحويل إلى كلية التجارة، لكنى لم أستطع الحصول إلا على تقدير جيد فقط، ولم أيأس رغم ذلك وانما قمت بإعادة الثانوية العامة وبذلت جهدا

مضاعفا ووفقنى الله فى الحصول عليها بمجموع يؤهلنى للالتحاق بكلية التجارة فالتحقت بها واطمأننت إلى أنى قد وضعت قدمى على بداية الطريق إلى تحقيق طموحى ومرت السنوات الأربع بعد ذلك سريعة، وحصلت على بكالوريوس التجارة بسهولة، وكافحت فى عملى حتى انتقلت منه إلى عمل يلائم تخصصى ومؤهلى الجامعى وأصبحت محاسبا كفءً فى عملى والحمد لله.

وخلال هذه الرحلة الشاقة كنت فى حاجة إلى رفيق لكفاحى فتزوجت وعمرى ٣٤ سنة، من مدرسة ابتدائى عقب حصولى على دبلوم إعداد الفنيين، وعشت معها بإخلاص وتفان وصدق فى كل شيء عشنا معا فى الحلوة والمرة وتقاسمنا لقمة العيش بحب وإخلاص وكانت تقول لى: أنت أبى وأخى وكل شيء فى حياتى وسأعوضك عن تضحياتك من أجلى، وكانت تضحياتى التى تقصدها تضحيات تافهة فى نظرى فقد أجهضت مرتين فكنت أرعاها خلال مرضها بكل إخلاص وأهون عليها حزنها لضياع الحمل وأقول لها حين يشاء الله سوف نرزق بالولد فلا داعى للحزن والاعتراض على مشيئة الله، ثم نجح حملها فى المرة الثالثة وأنجبت ابنتنا الوحيد ولا أعرف ماذا حدث لها بعد الإنجاب "تغيرت الزوجة الطيبة وأصبحت زوجة متسلطة آمرة تريد أن تفرض علىَّ إرادتها فى كل شيء ولم تعد

الزوجة الراضية المشجعة لى، كانت أزماتنا الصغيرة تمضى بسلام وتنتهى عادة بتنازلى عن موقفى إرضاء لها، وإكراما لعيون وليدنا الصغير ثم بعد الإنجاب بشهور ذهبت زوجتى إلى بيت أسرتها لحضور زفاف شقيقها الأصغر، وذهبت معها لحضور الفرح، وفى نهايته طلبت من زوجتى أن ننصرف للعودة إلى بيتنا فقالت لى أمها دعها تبت معى الليلة وستلحق بك غدا، فوافقت بسرور وعدت إلى بيتى أما هى فلم تلحق بى فى اليوم التالى ولم تعد إلى بيتها منذ ذلك الحين منذ ٦ سنوات هل تصدق؟...

ذهبت إلى بيت أسرتها لأسال عنها فقيل لى كلام كثير وشروط كثيرة مؤداها ألاَّ أصبح رجلا فى بيتى، وألا تكون لى فيه كلمة هذا أو تبقى فى بيت أمها التى تعيش وحدها فتتحمل هى نفقات البيت ويخف العبء عن الأبناء المتزوجين وتقوم حماتى بتربية ابنى بعيدًا عنى. فعلت المستحيل لمدة ٩ شهور لأعيدها إلى بيتها بلا فائدة فلجأت مضطرا إلى القضاء وأنذرت زوجتى بالطاعة فاعترضت على ذلك بأسباب وهمية من اختراع وترتيب أشقاء شياطين من خريجى كلية الحقوق، وكنت أقف أمامهم فى ساحات القضاء والحق معى أترافع ضد ألاعيبهم فنصرنى الله عليهم ورفض القضاء اعتراضهم فى الدرجتين الأولى والثانية ولم تنفذ زوجتى حكم الطاعة فحصلت على حكم بإسقاط نفقتها لنشوزها كنت حتى ذلك الحين قد أمضيت ٦

سنوات فى التلطم أمام المحاكم، أقامت زوجتى بمساعدة الشياطين ١٥ دعوى قضائية ضدى للاعتراض على الطاعة خسرتها جميعا. كل ذلك يا سيـدى بـلا سبـب من ناحيتى، وفى كل مرحلة من هذه المراحل أعرض الصلـح والعودة فأقابل بالجحود والعناد، وكل ذلك وابنى الوحيد يعيش يتيمًا محروما من أبيه بلا سبب ولا أستطيع أن أراه رغم حصولى على حكم رؤية لأن زوجتى ترفض تنفيذ هذا الحكم أيضا.

وكل ذلك وأنا أعيش منذ ٦ سنوات أعزب رغم زواجى على الورق، ولا أستطيع أن أطلقها لأتزوج غيرها تسألنى لماذا؟ إننى أعرف ما يدور فى ذهنك وقرأت تعليقاتك على حالات مشابهة تقول للزوج المعذب فيها إن الدنيا كلها لا تساوى هذا العذاب فاترك العمل الذى يجمعك بزوجتك السابقة أو أترك الزوجة الناشز وأبدأ حياة جديدة وأنا أحترم أراءك إنك تصدر فيها عن حب لقرائك وعن تقدير لعذابهم.

ولكن يا صديقى العزيز سأبوح لك بسر قد لا يعرفه كثيرون وبالذات لا يعرفه العباقرة الذين صاغوا قانون "الأهوال" الشخصية الجديد وأدعوهم لأن يعرفوه لكن يعرفوا ماذا جنت أيديهم نفاقا للبعض.

إننى أكافح منذ ٦ سنوات لاسترداد زوجتى وابنى بلا فائدة ورغم ذلك لا أستطيع طلاقها لكى أبدأ حياة جديدة مع غيرها لأن طلاقى لها معناه حصولها على شقتى التى لا أملك من حطام الدنيا غيرها والتى لا مأوى لى غيرها، ولا أمل فى أى مأوى غيرها، وشقتى ثمنها الأن حوالى ٣٠ ألف جنيه وهو كل ما تريده زوجتى من وراء هذا العذاب وهذا المرار الذى أتجرعه كل يوم.

فقل لى بربك أو أسأل لى عباقرة الزمان الذين تبنوا هذا القانون كيف أطلقها وأتنازل لها عن الشقة التى لا أملك غيرها، ثم أجد نفسى مشردا بلا مأوى، أو كيف أطلقها وأقبل وجودها معى فى الشقة بلا زواج ثم كيف أتزوج وأقيم مع مطلقتى فى نفس الشقة وأين هى الزوجة التى تقبل هذا الوضع؟ إننى أتقدم لفتيات كثيرات كشاب متدين يرفض الدنية فى دينة ويرغب فى الحياة السوية ولا يريد أن يغضب ربه، فما إن يعرفن أننى زوج لناشز ولى منها ابن حتى يسرعن بالفرار فكيف يكون لو طلقت زوجتى وأصبحت بلا شقة.

فمن تقبل الزواج منى فى هذه الحالة؟ إننى أريد حلا.. فهل أجده لديك؟

لا يا صديقى ليس لدىَّ الحل الذى تنشده ولا أظن أن أحدا لديه مثل هذا الحل، لكنى أنشر رسالتك هذه لألقى الضوء على هذه المشكلة الاجتماعية الجديدة وليطلع المختصون عن هذه الأثار التى لم تكن فيها أتصور واضحة أمام من صاغوا هذا القانون وأدعو مشرعينا وأهل الاجتهاد منا ليبحثوا لأمثال هذا الزوج المعلق فى الهواء عن حل عادل لمشكلته ومشاكل أمثاله العديدين، ولا أظن أن ما أقدمه لك فى هذا المجال كثير فهذا هو أضعف الإيمان ولست من أهل الفتوى لأفيدك برأى يريحك فى مشكلتك، والرأى الذى أراه لن تقدر على تنفيذه فهو أن تترك كل شىء وتبيع كل شىء من أجل سعادتك وحياتك وهو أن تتحرر من كل قيود الماضى، وتبدأ من جديد وأنت رجل صلب بدأت من الصفر وكافحت كفاح الأبطال لتبنى حياتك العملية ومثلك لن يعجز إذا حطم القيود عن يديه عن أن يفعل المستحيل ليبدأ حياة جديدة مع زوجة مناسبة فى العمر وفى الظروف الاجتماعية وقد تكون مشكلة السكن لديها ميسرة، فما أراه من حال زوجتك يقطع بأنه لا أمل فلا تنطح الصخر، وأنت على أية حال

معذور فى تمسكك بهذا الوضع الغريب وهى لو كانت راغبة فى التخلص من حياتها معك فقط ففى إمكانها ببساطة التنازل عن المسكن مقابل الطلاق خصوصًا وأنها تعيش مع أمها الوحيدة، لكنها لا تريد ذلك فيما يبدو والقانون معها. وكلاكما ضحية لقصور قانون يعطى حق حل مثل هذه المشكلة للأثرياء فقط، ولأصحاب الشقق البديلة، أما غير القادرين من أمثالك فإنه يجبرهم على تجرع العذاب بلا أمل فى الحل، لأن من صاغوا القانون زفوه إلينا على أنغام موسيقى الجاز، نسوا فيما نسوه معالجة مثل هذه الآثار إنى أقرأ فى بريدى العجب عما يحدث نتيجة لمثل هذه الأوضاع وما خفى كان أعظم:

فلعل من صاغوا هذا القانون يعجلون بمعالجة آثاره قبل فوات الأوان، ليقدموا لك ولأمثالك الحل العادل لمشاكلهم وآلامهم.

قد لا ترى فى مشكلتى هذه أنها مشكلة جدية تستحق الاهتمام والمساعدة فى حلها... لكنك لو دققت النظر فيها فستجد أنها مشكلة مهمة بالنسبة لشاب مثلى.. فأنا طالب بكلية التجارة ومشكلتى باختصار هى أن شكلى مثير لسخرية الآخرين لسبب لا ذنب لى فيه. فأنا مصاب ببروز عجيب للأسنان وأتمتع بأنف طويل جدا جدا مما يكون مع أسنانى البارزة صورة كاريكاتيرية عجيبة مثيرة للاستهزاء والسخرية.

ونحن يا سيدى نعيش فى زمن لا يرحم فيه الأخ أخاه، وقد لا يعفيه من كلمة جارحة لهذا السبب، فكيف يكون الحال مع الغرباء؟ لك أن تتصور حالى وأنا أواجه فى كل مكان عبارات السخرية والتنكيت على شكلى... فإذا لم تتردد فى وجهى سمعتها من وراء ظهرى وقد تضاعف عذابى بعد أن أنهيت دراستى الثانوية والتحقت بالجامعة وتحملت فيها الكثير من كلمات الزملاء والزميلات وعانيت أكثر من نظراتهم الجارحة وضحكاتهم الساخرة، ولك أن تتخيل حالى حين أقابل زميلا أو زميلة فى الكلية فأجدها تنظر إلى بشدة ثم تضحك أو تتبادل مع زميلاتها الهمس والإشارة والضحك، حتى أصبحت أشك فى كل إنسان يضحك أمامى دون سبب، وأعتقد أنه يضحك

سخرية منى وأنا أتساءل ما ذنبى فى كل هذا العذاب؟ وهل يختار الإنسان شكله؟ لو كان الأمر كذلك لاخترت لنفسى أجمل صورة لكى لا يسخر منى أحد، لكن الأمر ليس بيدى كما تعلم ثم لماذا لا نعيش بسلام ودون أن يسخر بعضنا من البعض؟ إننى منذ كنت فى المرحلة الثانوية وأنا أبحث عن حل لهذه المشكلة فى جراحة لتقويم الإنسان وتجميل الأنف لكن جراحات التجميل تتكلف الكثير وأنا من أسرة تحمد الله على الستر.. ولا إمكانات لديها لمثل هذه الكماليات.

إننى على استعداد لأن أعمل بلا أجر لدى الطبيب الذى يقبل أن يجرى لى هذه الجراحة، على أن يعتبر عملى مقابلا لسداد دينى وللفترة التى يحددها.. فهل أجد بين قرائك من يقبل هذه الطريقة لسداد الدين.

إن مشكلتك ليست فيها أتصور بالخطورة التى تتخيلها وأعتقد أن إحساسك بها أضخم كثيرا من حجمها بسبب استغراقك فيها ومعايشتها ليل نهار، ومع ذلك فإنى أفهم عذابك. وأعرف أنه جحيم حقا أن يتصور الإنسان أن الناس جميعا تسخر منه لعيب خلقى فيه، كما أنه جحيم أن يتصور دائما عيون الآخرين وكأنها سهام موجهة إليه لكنى لا أفهم حتى الآن كيف يستسيغ البعض أن يجرح إنسانا بكلمة أو بإشارة لسبب لايد له فيه، هو شكله خصوصًا ونحن نعرف جميعا أن الجميل لم يصنع جماله بيده ليكون له حق التفاخر، والقبيح لم يصنع قبحه بيده ليكون لنا حق السخرية منه، والبعض يا صديقى لا يدرى أين تقع كلماته الجارحة من القلوب المعذبة والكلمة القاسية قد تدمى أحيانا بأكثر مما يدمى الخنجر المسنون لكن البعض لا يعرف ذلك بكل أسف! على أية حال اتصل بى لألتقى بك أولا، فإن كان تقديرك لحجم المشكلة أكبر من الواقع فإننى سأنصحك بأن تتجاوز هذه التفاهات بقوة شخصيتك ومتانة أخلاقك وبعملك وتفوقك وحسن طباعك، فالشكل هو آخر مقياس لتقييم الإنسان وأنت فى النهاية

رجل ولست فتاة من حقها أن تأسى على جمال الشكل. أما إذا كانت المشكلة أكبر مما أتخيل فلن تحتاج إن شاء الله إلى أن تعمل بالسخرة لدى أحد لسداد دين جراحة، وإنما سأقدمك لمن يجريها لك بكل الرعاية الممكنة ومن حسن حظى أنى أعرف بعض الأطباء الذين يبغون وجه الله واليوم الأخر فى أعمالهم والذين يرحبون بصدق وحرارة بأية فرصة للمساهمة فى تخفيف آلام البشر سواء أكانت آلامًا عضوية، أم آلامًا نفسية كما هو الحال معك والله من وراء القصد.

أكتب إليك هذه الرسالة لأنى أريد أن أنفس عما فى صدرى... وقد اخترتك لكى أبثك همومى لما لاحظته فيك من متابعتى لقصص بريد الجمعة من استعداد لمشاركة الآخرين همومهم على البعد، وما أحوجنا يا سيدى إلى من هو على استعداد لأن يسمع للآخرين.. حتى ولو لمجرد الراحة النفسية التى يحققها من يتكلم! إننى شاب عمرى ٢٧ سنة. أعمل بالديكور ولى خبرة طيبة فيه وأحقق دخلا معقولا من نشاطى فيه، لكننى أمضى أيامى الآن داخل أحد السجون وفاء لحكم القضاء على بالسجن لمدة عامين، ولا أريد أن أخفف مما فعلت. فقد كنت شابا شاردا ضالا تهربت بلا سبب من أداء الخدمة العسكرية وعشت حياتى ضائعًا بلا تقدير للعواقب مطاردا.. خائفا.. وكان من الممكن أن تمضى حياتى كلها هكذا لولا أننى التقيت بفتاة رائعة على خلق كريم وأحببتها بصدق وإخلاص، فقررت أن أعود إلى الطريق السليم باختيارى وقبل أن تضيع منى حياتى، وكان حبى لها هو دافعى الأول للتوقف عن حياة الشرود والضياع، فهى شقيقة لأعز أصدقائى وفكَّرْنا معًا ماذا نفعل لكى نحقق أحلامنا ونبنى عشنا السعيد.؟ واستقر رأيى ورأيها على أن أتقدم لخطبتها أولا.. ثم أسلم نفسى للجهات المختصة لأنال جزائى العادل ثم أنهى فترة

١٠

الحكم وأخرج لأتزوجها ووافق شقيقها على ذلك وأسرتها أيضا التى كانت تعرف كل ظروفى وتعرف أننى صادق الرغبة فى الاستقامة، وفى أن أحيا حياة طبيعية شريفة وتقدمت للأسرة التى رحبت بى كثيرا وعاهدنى الجميع على الوقوف معى حتى أجتاز هذه المحنة، وسلمت نفسى فحوكمت وحكم على بقضاء عامين فى معسكر العمل بسجن مديرية التحرير بمركز بدر، وتقبلت الأمر الواقع رغم شدّته بشجاعة بل عشت أيامى الأولى وراء الأسواء راضيا عن نفسى أنى عدت للطريق السلم بإرادتى، مؤمنًا بأن الدنيا ألم وسعادة ولن تحس بمعنى السعادة إلا إذا ذقت طعم الألم! لكن المشكلة يا صديقى أن الأيام تمر علىَّ فى وحدتى ولا شيء يشغل ذهنى سوى انتظار اليوم الذى أخرج فيه لأبنى عش أحلامى مع خطيبتى، لكنها من ناحية أخرى تمضى بغير أن تحمل لى خبرا أو رسالة أو زيارة من خطيبتى، أو صديقى الوحيد.. أو من أسرة خطيبتى التى رحبت بى وعاهدتنى على الوقوف بجانبى، أننى أنتظر موعد توزيع البريد وقلبى يخفق فإذا انتهى بلا رسالة من خطيبتى كما يحدث كل مرة سرحت بنظرى فى الخلاء المحيط بالسجن والدموع تترقرق فى عينى، وشيء ثقيل فوق صدرى يكاد يكتم أنفاسى فإذا أمنت عيون النزلاء التى تعتبر البكاء ضعفا أطلقت لنفسى العنان حتى يستريح صدرى.

وأنا أنتظر موعد الزيارة فيجيء الزوار وأتلفت وحدى يمينا ويسارا

أبحث عن طيفها.. أو خيال صديقى الوحيد فلا أجد سوى السراب فيضيق صدرى وتسيل الدموع من عينى.

إننى لست نادمًا على اختيارى للطريق السليم من أجلها ومن أجل نفسى، بل إن ندمى هو على شرودى وضياعى فى الماضى، لكنى أسألك يا صديقى الذى لا أعرفه إلاَّ من كلماته هل تغيرت مشاعر خطيبتى نحوى... ولماذا كل شىء فى حياتى كان واضحا أمامها وأمام أسرتها قبل الخطوبة وبعدها وألا يعد ذلك غدرا بمن وفى بعهوده ودخل السجن باختياره لكى يحيا مستقيما ويتزوجها؟ إننى أرجوك أن تكتب رأيك فى مشكلتى لأقرأه فى وحدتى ـ"على".

هذه هى الرسالة التى تلقيتها هذا الأسبوع من وراء الأسوار ومست قلبى بكلماتها الرقيقة وجوها الحزين ولكاتبها أقول إننى لا أستطيع يا صديقى أن أحكم على مشاعر من لا أعرفها أو أعرف ظروفها، لكن هناك شواهد قد تساعد على تقدير الموقف وأرجو أن تكون خاطئة! أما هذه الشواهد فهى توقف أى اتصال بينك وبينها وبينك وبين شقيقها وأسرتها، فانقطاع الصلات تماما مؤشر مهم على احتمال تغير المشاعر بعد صدور الحكم وتنفيذ حكم القضاء إننى قد لا أجد فى انقطاع الزيارة عنك مؤشرا على تغيّر المشاعر لأن فى الزيارة مشقة قد لا تتحملها خطيبتك وأسرتها.. لكن انقطاع الرسائل والاتصال بك عن طريق أهلك هو الأخطر فهو يعنى أن فتاتك ربما راجعت نفسها وقررت عدم الانتظار أو ربما فوجئت بمدة الحكم وكانت تتصورها قصيرة، فإذا كان الأمر كذلك فإن من حقها أن تختار لنفسها ما تشاء، لكنه من حقك عليها وعلى أسرتها بالتأكيد أن تبلغك بشكل ما ولو عن طريق أسرتك بقرارها الجديد، إذ ليس من الإنسانية أن تترك معلقا فى الهواء هكذا وأنت فى محنة تحتاج فيها إلى من يقف

بجوارك وإذا صح هذا الظن وبعض الظن إثم، فإننى أطالبك بألاّ تندم عليها وبألا تحزن لفراقها.. فمن لا تقف بجوارك فى وقت الشدة.. لا تستحق أن تكون لها فى وقت السلام والرخاء والهدوء والدنيا مليئة على أية حال بصور الغدر، ونقض العهود فلا تحزن لما جرت به المقادير، ويكفيك أنك كنت رجلا فوفيت بعهدك ودخلت السجن بقدميك لكن تكون لها بعد حين، فإذا كانت قد عميت عن تقدير هذه التضحية وعجزت عن فهم دلالتها وهى أنك على استعداد لتحطيم الصخر من أجلها.. فهى الخاسرة لا أنت.. لأنها خسرت رجلاً على استعداد لأن يفعل المستحيل لإسعادها فلا تبتئس يا صديقى واحتفظ بأهم ما كسبته من هذه التجربة القاسية، وهو الاستقامة وراسلنى كل حين فإنه لمما يسعدنى حقًّا أن أعرف شابًا مستقيمًا جادًّا مثلك وستمضى الأيام سريعة وستخرج إلى الحياة رجلا شريفا مسئولا فتجد من تختارك عن حب واقتناع وستتفتح أمامك أبواب النجاح والسعادة بإذن الله.

أنا شاب فى الثلاثين حاصل على ليسانس الحقوق وأعمل موظفا فى أحد القطاعات التابعة لوزارة الإعلام وبحكم الزمالة تعرفت على فتاة فى مجال العمل وتوطدت علاقتنا سريعًا. وهى بالمناسبة فتاة جميلة شكلا وموضوعا ومن عائلة طيبة وكبيرة، وكنت أعتبرها فى البداية مجرد زميلة أو صديقة لكنى كنت ألمح فى عينيها علامات الحب. ولما طال انتظارها لكى أصارحها صارحتنى هى بحبها.. وسعدت بذلك جدا بالرغم من أن شعورى حتى هذه اللحظة تجاهها كان مجرد الشعور بالارتياح حين أكون معها وكنا نخرج معًا عقب انتهاء العمل وأقوم بتوصيلها إلى بيتها ثم تقدمت لخطبتها فكادت تطير من الفرحة والسعادة وبمرور الأيام بدأت أتعلق بها.. وتعلقت بها بالفعل وأحببتها جدا، لكن حبها لى ظل دائما أكبر من حبى لها أضعافا مضاعفة، وبدأنا رحلة الاستعداد للزواج ووفقنا الله فى العثور على شقة وبدأنا نجهزها للزواج ونقوم بتأثيثها وخلال هذه الفترة كنا نذهب إلى الشقة معًا كثيرا لنتابع ما يجرى فيها.. فنقضى فيها أوقاتا سعيدة تعطينى خلالها من حبها ومن نفسها بسخاء حتى أصبحنا لا نستطيع الاستغناء عن بعضنا البعض. ومضت الأيام سعيدة حتى مر عام على الخطوبة وبدأت تلح على لعقد القران فأجدنى مترددا رغم

حبها لى بكل جوراحها فى إتمام هذا القران إذ أخلو إلى نفسى فى الليل فأقول لها كيف أتزوجها بعد ما... لكنى لا أستطيع أن أواجهها بذلك خوفا عليها فأنا إن واجهتها بذلك فإنها بالتأكيد إما أن تنتحر أو أن تمرض وتلازم الفراش وفى كلتا الحالتين فإن ضميرى سوف يؤلمنى جدا مدى الحياة ولن أغفر لنفسى هذا التصرف خصوصًا أنها إنسانة حساسة جدا وبالذات من ناحيتى ولو حدث أن أسأت إليها بغير قصد بكلمة فإنها تحزن وتبكى وقد تمرض لعدة أيام فكيف أصرح لها بما فى نفسى؟ إنه شىء صعب لكنى لا أستطيع أن أتزوج إنسانة ذقت طعمها لأنى لا أعرف كيف أستطيع أن أتعامل معها بعد الزواج بصورة طبيعية.. إننى فى حيرة من أمرى بل فى صراع رهيب فأرجو أن تشير على برأيك السديد".

رأيى "السديد" فى هذا الموضوع إنك محق فيما تقول! إذ لا يجوز أن تتزوج من فتاة أحبتك وأحببتها وأخلصت لك وأخلصت لها وخطبتها ووفقك الله فى العثور على شقة لكى تتزوجها وبدأتما تأثيثها! نعم لا تتزوجها يا صديقى لأنه لا يصح أن تتزوج فتاة ذقت طعمها كما تقول لأن الأفضل وفقا لمنطقك المريض أن تتزوج من ذاق غيرك طعمها ورفض أن يتزوجها لنفس السبب فتعلمت الدرس المؤلم وحجبت نفسها عنك! فهكذا يفضل بعض شبابنا التعامل مع قضية الحب والزواج، يا صديقى فتاتك كما تقول جميلة شكلا وموضوعا وفيها كل الصفات التى تتمناها.. وهى تحبك أضعاف ما تحبها وترغب فى إرضائك بكل الطرق.. وقد أخطأت بلا شك فى تصرفها معك على هذا النحو فى فترة الخطوبة وأكبر أخطائها أنها لم تفهم شخصيتك الحقيقية الكامنة وراء المظهر المنمق، لكن خطأها لا يقاس بجريمتك حين تفكر فى تحطيم حياتها وهجرها لأنها أحبتك وأعطتك من حبها ومن نفسها بسخاء معتقدة أنها ترضيك بذلك.. إننى لا أوافق على تصرفها معك.. لكن لماذا تحاسبها هى وحدها على خطأ

مشترك يا صديقى كف عن هذا التفكير الطفولى ولا تحرم نفسك ممن أحبتك وأخلصت لك لهذا السبب وحده، وتأكد أنك ستسعد بها بعد الزواج لأنها تحبك وحريصة عليك وراغبة فى إرضائك.

تلقيت فى بريدى هذا الأسبوع رسالتين الأولى من طبيب شاب من القاهرة، والأخرى من موظف حكومى فى الأربعين. وبالرغم من أن كل رسالة منهما تعرض مشكلة مختلفة وتعكس صورة مختلفة للحياة.. فلقد أحسست أن هناك خيطا رفيعا يربط بينهما.. وبأن الرسالتين تتجاوران بغير قصد وبغير سابق معرفة!.

تقول الرسالة الأولى:

أنا يا سيدى طبيب شاب حاصل على درجة الماجستير فى أحد فروع الطب وسأعين قريبا بإذن الله فى هيئة التدريس بالجامعة.. والحق أننى أشكر الله على توفيقه لى فى دراستى وعملى كما أشكره كثيرا على أشياء أخرى عديدة فأسرتى أسرة محترمة.. وأنا شاب حسن المظهر وسيم مثقف ثقافة عامة لا بأس بها.. وأمتلك شقة تمليك فى إحدى عمارات مصر الجديدة وأقود سيارة صغيرة جديدة وعضو فى ناد معروف من نوادى العاصمة.. وليست لدى مشكلة مادية ولا مشكلة صحية والحمد لله.. وأنا شاب متدين لا أدخن ولا أرتاد أماكن أو أجواء أحب ألا يطلع عليها أحد، فما هى المشكلة أذن؟

المشكلة أننى يا سيدى كانت لى منذ سنوات وكأى إنسان تجربة زواج لم يرد لها القدر النجاح والاستمرار، فلقد كانت طباعى مختلفة تماما عن طباع زوجتى وآرائى مخالفة لأرائها.. وعشت فى تعاسة شديدة أفكر ماذا أفعل؟ هل أواصل الحياة مع زوجتى وكل الدلائل تقطع بأن الزواج لن يستمر، وأنه سوف يتحطم على صخرة الفشل لكن بعد أن نكون قد أنجبنا أطفالا يتعذبون بانفصالنا ويضيعون بيننا.. أم أقدم على الانفصال قبل الإنجاب.. فأنقذ نفسى.. وأتيح لزوجتى فرصة أن تجد من يفهمها وتفهمه.. مادمنا عاجزين عن التفاهم.. فنخرج نحن الاثنين بأقل الأضرار الممكنة من هذه التجربة المؤلمة.

فكرت فى ذلك طويلا ثم حزمت أمرى واتخذت قرارى بالانفصال والطلاق رغم قسوته.. لكى لا أستمر فى حياة فاشلة مصيرها إلى الانفصال مهما طال الزمن. وكان قرارى فى ذلك كقرار الطبيب ببتر عضو من أعضاء الجسم إذا رأى فى بقائه خطرا يهدد حياة المريض، وتم الطلاق وأديت لزوجتى السابقة كل حقوقها.. وواصلت حياتى وبعد فترة وجدت نفسى وحيدا وفى حاجة لأن أتزوج وهنا بدأت المشكلة فكلما تقدمت لفتاة وعرفت منى أننى قد سبق لى الزواج والانفصال نفرت منى وأعلنت عدم رغبتها فى إتمام الزواج منى. والغريب أن الرفض قد جاء من فتيات كنت أظنهن راجحات العقل،

فبعضهن كن طبيبات وبعضهن حاصلات على مؤهلات عليا، وكل جريمتى أمامهن أننى شاب صاحب سوابق فى الطلاق، وبالتالى فلا أمان لى حتى صرت كالمصاب بمرض معد يخاف الناس أن يلمسوه، ولماذا كل ذلك ألأننى أصر على أن أبدأ حياة جديدة على أساس من الصدق فلا أخفى نبأ زواجى السابق عمن أتقدم لها وإنما أصر على مفاتحتها به فى اللقاء الأول.. وهل ارتكبت جريمة حقا بالانفصال عن زوجتى السابقة وهل الفشل فى الزواج هو نهاية الحياة...؟ إننى والحمد لله لا أحسد أحدا على شىء لديه.. لكن أنظر وتأمل حكمة الخالق فى أمرى فأنا أملك كل المقومات المادية لبناء أسرة سعيدة وبيت صالح ولا ينقص هذا البيت سوى شىء واحد هو الزوجة والأبناء وغيرى لا يملك من مقومات الحياة شيئا إلا الزوجة والأبناء وكلانا غير راضٍ وفى حاجة إلى مالدى الآخر إننى أتعذب بوحدتى وأتخيل السنوات تمضى بطيئة بلا حل لمشكلتى.. وكل عام يمر تتعقد مشكلتى وأفقد الثقة فى نفسى أليست هذه دنيا غريبة لا تعطى كل شىء لمن يريد؟

وتعليقى على هذه الرسالة: هو أنك لم تجرم بالانفصال عن زوجتك فالفشل فى الزواج تجربة مؤلمة حقا لكنها فى النهاية تجربة يمكن أن يتعرض لها كل إنسان فى حياته، ولا يجوز أن تكون سببا كافيا لرفض إنسان أو النفور منه وصاحبات "العقل الراجح" اللاتى رفضنك لهذا السبب وحده لسن فى رأيى من صاحبات التفكير السليم.

فالتجربة السابقة فى الزواج ليست مبررا كافيا للحكم على إنسان بأنه غير صالح للحياة الزوجية المستقرة، تماما كما أن تجربة الزواج الفاشل فى حياة مطلقة تعسة لا تكفى أبدا للحكم عليها بنفس هذا الحكم القاسى. فالمعيار السليم للاختيار هو أخلاقيات الشخص وقيمه ودينه وشخصيته. وليس حظه العاثر أو حظها العاثر فى زواج فاشل فلا أحد يا صديقى يريد لنفسه الفشل أو يتمناه، وليس من العدل أن يحاسب الناس أحدا على سوء حظه فى الحياة.

فإذا كان الأمر كما تقول فإنى أرى فيك شابا مستقيما أمينا وأبسط دليل على أمانتك هو حرصك على أن تبنى حياتك الجديدة على

الصدق لا على الخداع. وإصرارك على ألاّ تخفى أمر زواجك السابق... عمن تتقدم لها، فتمسك بهذا المبدأ وسوف تجد من تتمناك وتقدر فيك هذه المزايا.

١٣

نقلتنى هذه الرسالة فجأة من دنيا إلى دنيا، ومن عالم إلى عالم آخر تقول كلماتها:

أكتب إليك هذه الرسالة وأنا فى أشد حالات الضيق بعد أن سمعت عبارة ساذجة من طفلى الصغير، ولكى أقول لك ماذا قال لابد أن أروى لك الحكاية من أولها.

الحكاية يا سيدى أننى مهندس شاب كنت موفقا فى دراستى وفى عملى عمرى ٣٨ سنة متزوج من مهندسة زميلة لى وموفق والحمد لله فى حياتى الخاصة وفى عملى. لدى ولد وبنت أسعد بهما وأشكر الله كثيرا على نعمته وأعيش حياة هادئة أتمتع فيها باحترام زملائى فى العمل وجيرانى وأقاربى، وأعيش فى مستوى معقول رغم كل شيء.. زوجتى والحمد لله طيبة ومثقفة وعاقلة نجلس معًا أول كل شهر ونضع ميزانية الشهر فأجمع راتبى على راتبها ثم نحجز المصروفات الثابتة كالإيجار والكهرباء والأقساط المتوقعة ثم أعطى زوجتى مصروفات البيت وما يتبقى بعد ذلك أقسمه بالعدل بينى وبين زوجتى لمواصلاتها ومواصلاتى وذلك بعد حجز مبلغ صغير كاحتياطى للنفقات الطارئة كزيارة طبيب الأطفال مثلا، وحياتنا والحمد لله منظمة إلى حد كبير نعرف حدودنا ولنا طموحاتنا الصغيرة التى نحققها عن طريق الادخار.

وكل هدف نسعى إليه نخطط له قبلها بعدة شهور، فإذا أردنا مثلا شراء غرفة نوم للأطفال نجئ بمظروف جديد ونكتب عليه اسمه ويضع فيه كل منا ما يستطيع الاستغناء عنه ونضع فيه أيضا أية موارد إضافية من الحوافز فى الأجور الإضافية ومنحة الحكومة فى الأعياد وغيرها. ونسعد كثيرا كلما رأينا المظروف ينتفخ ويقترب من الهدف! وكم تكون فرحتنا حين يكتمل المبلغ المطلوب ثم نحمل المظروف إلى محل الموبيليا وندفع ثمن غرفة النوم ونحس أننا أجزنا شيئا كبيرًا فى حياتنا. وبهذه الطريقة حققنا نجاحات كبيرة. وبنينا أهرامات صغيرة نعتز بها فى حياتنا فأدخلنا طفلينا مدرسة خاصة راقية ونشترى ملابس لائقة للشتاء والصيف، ونقضى كل عام أسبوعين فى أحد المصايف عن طريق الرحلات التعاونية للشركة التى أعمل بها، وأكملنا تأثيث شقتنا. واشترينا التليفزيون الملون.

وتسألنى بعد كل ذلك وأين هى المشكلة وأجيبك أنه ليس هناك مشكلة محددة.. لكن هناك "مصيبة" نزلت فوق رأسى بلا ذنب فلقد كانت هناك قطعة أرض فضاء ملاصقة للعمارة التى أقيم فيها سمعنا أن أحد الأغنياء قد اشتراها. وبدأ البناء فيها. وخلال سنة واحدة أقيم فوقها قصر فخم وطوال فترة البناء كان نعتقد أن الرجل يبنى فندقا من فنادق الدرجة الفاخرة ونتوجس خيفة من افتتاح الفندق والضجيج الذى سوف يحدثه فندق يتردد عليه النزلاء فى هذه المنطقة الهادئة، إلى

أن انتهى البناء والديكور وبدأ التأثيث فبدأ الشك يساورنا فى أن ما يقام بجوارنا هو فندق جديد فلقد بدأت سيارات محلات الأثاث الكبرى تأتى كل يوم محملة بأثاث لا يمكن أن يكون أثاث فندق مهما كانت درجة فخامته، صالونات مذهبة وبالصدف وبرؤوس الحيوانات وانتريهات لا حصر لها.. وغرف نوم دائرية وبيضاوية وبكل الأشكال.. وحمامات بكل الألوان سألنا ذات يوم حارس العمارة الريفى وهو من أقارب صاحب البناء فقال الرجل ببساطة إن المعلم يبنى "دارا" له ولأولاده.

المهم انتهى البناء والتأثيث وجاء يوم الافتتاح وفوجئنا بحديقة القصر مزدحمة بالمعلمين والأقارب وجاءوا بعدة عجول ذبحت على باب القصر وغمس أحد الاتباع يديه فى دم ذبيحة ثم طبع كف يده على باب الفيلا وعلى حائطها الخارجى كأنه يقول لنا ياناس ياشر كفاية قر.

واستقر الجيران فى قصرهم بجوارنا وبدأ عذابنا! وبالرغم من أن مرحلة التأثيث قد انتهت منذ زمان إلاَّ أن سيارات المحلات الكبرى تأتى كل عدة أيام تحمل ثلاجات بارتفاعات لم نرها فى الأفلام وأجهزة تليفزيون وأجهزة ستريو وأجهزة فيديو وشرائط فيديو بالصناديق وكاميرات سينما وأجهزة عرض سينما.

وكل شيء بالكوم.. أما الملابس فلا أعرف متى يلبسون كل هذه المشتريات التى تحملها سيارات النقل وهم يعيشيون فى حالة مهرجان مستمر حفلات غداء وحفلات عشاء.. وخروج فى صف سيارات إلى المسارح والملاهى، أما حفلات الغداء فحدث عنها ولا حرج سيارات عليها اسم أكبر جزار فى مصر تأتى لتفرغ الذبائح وسيارات عليها اسم أكبر محلات الحلوى تأتى لتفرغ التورتات والحلويات. وسيارات نقل تأتى لتفرغ ٥٠ أو ٦٠ بطيخة من حجم الفيل. وحفلات عيد ميلاد.. وعيد زواج.. وعيد أى شيء ومطربون ومطربات وفرق موسيقية كفرق العوالم تصدح بأغان سوقية عالم عجيب.. وضيوفه أعجب والشارع كله يهيص كلما كانت هناك حفلة منادون خصوصيون للسيارات ينظمون المرور ويرتبون وقوف السيارات.. وأتباع يقفون على باب القصر وناس يتجمعون ليتفرجوا مذهولين على أيام وليالى ألف ليلة وليلة، ومن سوء حظنا أنهم يفعلون كل ذلك فى الحديقة تحت أنظارنا.. ثم هل تصدق أن لهم مقاول زبالة مخصوص يأتى كل يوم ليحمل بسيارة أطنان الزبالة الفخمة ويرفض الاقتراب من زبالتنا؟

ومرة ثالثة ستسألنى وماذا يضيرك فى كل ذلك وسأقول لك ماذا أضرّنى بالفعل، أضرّنى الكثير يا سيدى – وخسرت الكثير بالفعل ستقول لى ما دخلك فى ذلك، وسأقول لك إن لى دخلا كبيرا فى ذلك

إن لم يكن بإرادتى فبغير إرادتى فقد كنت أعيش سعيدا قبل هذه الجيرة السعيدة ولكننى لم أعد كذلك وإذا لم تصدقنى أرجو أن تزورنى وسأصحبك إلى شرفة مسكنى لترى بعينك ما يجرى بجوارى وسأترك لك بعد ذلك الحكم. الأسرة التى سكنت بجوارى عائلها رجل.. معلم.. مازلت أعجب من أين جاء بهذه الرغبة المتأججة للاستمتاع بالدنيا.

سمعت من الحارس أنه بدأ حياته بائعًا سريحًا فى بلدة خارج القاهرة ثم تاجر فى كل صغير.. ثم فى محل كبير ثم خلال ١٠ سنوات فقط لا غير تحوّل من تاجر كبير إلى مليونير يستطيع أن يبنى فيلا لا يقل ثمنها عن عدة ملايين. وليست هذه هى القضية.. لكن القضية هى أسلوب حياة الجيران الجدد فهم يركبون ٣ سيارات مرسيدس من نوع. التمساحة. وإلى جوارها عدة سيارات صغيرة. فرط. للبنات الصغيرات وهم يفتحون الستائر فى الصباح فتتشعلق سيدات العمارة ورجالها – وشرفك – يتفرجون على ما يظهر من خلف الزجاج من التحف والرياش والنفائس.

بعد وصول جيران الهنا إلى حينا فقد خسرت إحساسى بالتفوق والامتياز وبأن المستقبل مفتوح أمامى لأنى مهما صنعت ومهما تعبت وخدمت عملى بإخلاص لن أحقق واحدا على مليون مما أراه كل

يوم.. وخسرت هدوء نفسى وإحساسى بالرضا عن حياتى وعن بيتى وأسرتى.. لأنى وجدت نفسى بدون إرادة موضوعا موضع المقارنة الظالمة مع من لا طاقة لى بهم. وخسرت إحساسى بأنى أنجزت شيئا أفخر به فى حياتى.. وقد كنت أحس بهذا الإحساس حتى لو عدت إلى بيتى حاملا بطيخة وأسعد كثيرا بفرحة أطفالى بها. بل لن تصدقنى لو قلت لك إننى والله العظيم لاحظت أن صوتى بدأ يخفت عندما تطلب منى زوجتى طلبا ما.. وكنت قبل ذلك أقول لها بكل ثقة أنظرى ماذا فعلت لك.. أما الآن فأصبحت نفسى "مكسورة" لأنى أعرف أنها ترى ما أراه ومن حقها كإنسانه أن تضعف وتطلب. أما أكثر ما آلمنى فى كل هذه القصة فهى هذه العبارة الساذجة التى أشرت إليها فى أول الرسالة.. والتى قالها لى ابنى اليوم ونحن فى الشرفة نتفرج على مهرجان جديد من المهرجانات المستمرة. لقد قال لى ببراءة ليه يا بابا ما عندناش فيللا زى دى.. ولا عربيات كثير وفلوس كثير زى الناس دول "فقل لى بربك ماذا أقول له.. وماذا أقول لنفسى الأمارة بالسوء؟".

هذه هى الرسالة التى نقلتنى فجأة إلى هذا العالم العجيب وهذه المشكلة الأكثر عجبا. إننى يا صديقى أشفق عليك مما تعانيه وأفهم تماما ما تشعر به من إحساس بالعجز والاحباط واللاجدوى بسبب هذه الصورة الجديدة للحياة التى اقتحمت عليك حياتك الهادئة، وكادت تفسدها عليك فكل أحاسيسك هذه أحاسيس مشروعة ومفهومة ولا يجدى هنا أن أقول لك ماذا يهمك من الأمر ماداموا لا يعتدون عليك فى شىء.. فالحق أنهم يعتدون بالفعل على حياتك الهادئة وعلى مثلك العليا وقيمك بهذا الإنفاق الاستفزازى تحت بصرك وبصر أسرتك.. ومن هنا تأتى أهمية إدراك الأثر الاجتماعى للسفه والانفاق الاستفزازى وسط بحيرة من الحرمان.

والمشكلة أن معظم أثرياء الطبقة الجديدة لا يدركون القيمة الأدبية والاجتماعية للمال ولا أثر هذا الانفاق السفيه على حياة الآخرين.. بدعوى أنه مالهم وهم أحرار فيه. وهذا هراء لأنك لا تستطيع أن تحرق ألف جنيه بالنار أمام عين جائع بغير أن تخشى على حياتك منه رغم أنه مالك "وأنت حرفيه" لأنك أذيت بذلك آخر يتطلع إلى جنيه

واحد منه بحرقة أمامه. ولو اعتدى عليك هذا الجائع ساعتها لقدرت المحاكم هذه الظروف واعتبرتها ظروفا مخففة للعقاب، لذلك تتضاعف أهيمة السلوك الحضارى والتصرف الحضارى فى المال. لكن من يقرأ ومن يفهم؟

وبرغم كل ذلك أقول لك يا صديقى إن السعادة تنبع من داخل الإنسان ولا تأتى إليه من خارجه. وأن العقلاء من الناس من يرون الأمور فى أوضاعها الطبيعية.. ويدركون أن لكل إنسان حياته.. ولكل إنسان نصيبه من الدنيا.. ومن لا ينشغلون بمراقبة الناس ومن راقب الناس مات غمّا كما يقولون.

والسعداء من الناس من يرون ما فى أيدهم ويرضون عنه ويشكرون الله عليه ثم يسألونه من فضله المزيد.. ولا بأس فى ذلك فالله يحب أن يسأل. لكن بعض الناس يا صديقى لا يرون إلاَّ ما فى أيدى غيرهم.. ولا يرون إلا ما ينقصهم ويتعذبون به.. وهؤلاء عذابهم طويل لأنه لا حد لاحتياجات الانسان ولا نهاية لها. ثم إنك نسيت فى انشغالك بمراقبة هؤلاء كل ما لديك وهو كثير كثير وينبغى أن تشكر الله عليه.. فلديك حياة عائلية موفقة وزوجة مخلصة وعاقلة وطفلان تسعد بهما النفس.. وعمل مرموق موفق وحياة اجتماعية معقولة يحلم بها مئات الآلاف وصحتك جيدة والحمد لله أنت وأسرتك.. فماذا تريد أكثر من ذلك؟

لأول مرة. أجرب هذه الطريقة ولعلها تكون الأخيرة لأنى أختار عادة رسائل بريد الجمعة بعد جهد وتدقيق طويلين، أما فى هذه المرة فلقد وضعت كومة رسائل بريد الجمعة أمامى ثم مددت يدى عشوائيا عليها فوقعت على هاتين الرسالتين الفريدتين.

تقول كلمات الرسالة الأولى أنا تلميذة بالصف الأول الثانوى كان جدى لأمى باشا.. أى باشا سابق ثم تغيرت الدنيا وضاعت الأرض وضاع العز منذ سنوات طويلة ولم أر منه شيئا، لكنى سمعت عنه من أمى التى شهدت طفولتها بقاياه. وقد ضاع المال ونزلت أمى إلى ميدان الحياة، وعملت موظفة كتابية فى إحدى المصالح الحكومية وتزوجت من أبى وأنجبتنا ونشأنا بين أحضان أبوين صالحين يعملان كل جهدهما لتربيتنا وتعليمنا وإسعادنا وحياتنا تمضى عادية.. نعانى من متاعب الحياة كغيرنا، لكن يظلل حياتنا دائما الحب والتعاطف الأسرى ونحيا تحت رعاية أبى الرجل الفاضل وأمى السيدة المؤمنة التى ربتنا تربية بنت باشا سابق لأبنائها، والحمد لله على كل حال. تسألنى طبعا ماذا أريد.. ولماذا أكتب لك. إنى أكتب لك لأنى أريدك أن توجه رسالة فى بريد الجمعة إلى أمـى لأنها تقرأه

كل أسبوع والحكاية أننى كنت نائمة ليلة عيد الفطر المبارك فصحوت من نومى قرب الفجر على صوت بكاء.. ونشيج فنهضت مفزوعة ثم تسللت من غرفة النوم على أطراف أصابعى لأعرف إيه الحكاية.. فرأيت أمى وراء الباب جالسة على الأرض فى الصالة على سجادة الصلاة رافعة وجهها ويديها إلى أعلى تكلم الله سبحانه وتعالى وتقول له: "يا رب.. يا من لا تظلم عنده الخلائق.. لقد كرمتنى بنجاح أولادى فهل ترضى بألاَّ يفرحوا فى العيد. إنهم فى حاجة الملابس جديـدة.. لكن العين بصيرة واليد قصيرة وأنت أعلم بحالنا.. يا رب".

سمعت كلماتها إلى الله وانسابت دموعى وخشيت أن ترانى فتخجل منى ويزداد همها" فعدت إلى فراشى وقلبى حزين وبقيت فى الفراش بلا نوم حتى الصباح. وفى الصباح نهضنا من فراشنا وتبادلنا التهنئة بالعيد.. وأنا ألمح فى عينيها نظرة منكسرة.. لذلك فإننى أريد منك أن تكتب إليها رسالة تقول لها فيها إننا لم نطلب منها ملابس جديدة فى العيد.. ولم نطلب منها حتى العيدية وأننا نعرف حالنا كويس وأن دخلنا يدوب بيكفينا لأخر الشهر.. وقل لها كتر خيرها هى وبابا إنهم بيعلمونا وبيصرفوا علينا وبيحبونا وبيتعبوا كتير علشان يسعدونا.. وأرجوك تقول لها كمان إن إحنا راضيين بحياتنا والحمد لله.. وإنه مهما حصل فهى فى نظرنا بنت الباشا... وحتفضل كده على طول... وشكرا لك".

وأتوقف طويلا أمام هذه الرسالة.. أتأمل فى خيالى صورة الأم الجالسة على سجادة الصلاة تبكى وتناجى ربها فى ليلة العيد وابنتها ترقبها خفية.. ثم أستعيد كلمات الابنة المعبرة ببساطة وصدق عن حبها لهذه الأم الطيبة. وأشعر أنى عاجز عن توجيه الرسالة التى تطلبها منى الابنة إلى الأم. فإنى مهما استجمعت الكلمات لن أستطيع أن أنسج كلمة أرق ولا أصدق مما كتبت هى عنها وإليها لكنى فقط أقول للأم إن من نشَّأت أبناءها وسط متاعب الحياة وظروفها الخاصة على هذا الخلق الرضى الطيب القانع... هى أم عظيمة بلا جدال فهنيئًا لك يا سيدتى حب واحترام أبنائك لك وليتوج الله كفاحك مع زوجك بنجاح الأبناء دائما واستكمال تربيتهم وتعليمهم، فلا شك أنك سوف تقدمين للمجتمع عناصر فاضلة تضيف إلى الحياة ولا تخصم منها وإذا كنت قد فقدت العز القديم فلقد عوضك الله عنه خيرا بأبناء صالحين محبين عطوفين.. وهو فضل لو تعلمون عظيم.

وأمد يدى إلى رسالة منتفخة فأفتحها لأجد بداخلها شريط كاسيت على أحد وجهيه موسيقى غربية حالمة.. أما على الوجه الأخر فأسمع هذه الكلمات: لقد قررت أن أرسل إليك رسالة مسموعة لأن خطى وحش ولأنى أستطيع أن أعبر عن مشاعرى هكذا أفضل أنا يا سيدى فتاة عمرى ٢٠ سنة وأعمل فى وظيفة أتقاضى عنها ١٠٠ جنيه فى الشهر إلى جانب السكن وهو غرفة مفروشة بأثاث جيد مكون من سرير كبير نظيف ومائدة صغيرة أتناول عليها طعامى بالشوكة والسكين فى مواعيد الوجبات، ودولاب يضم فساتينى ومصوغاتى وأحذيتى، ثم تليفزيون صغير أبيض واسود وراديو كاسيت أسمع منه الموسيقى وأميل إلى سماع الموسيقى الهادئة الغربية وعندى مجموعة من الشرائط لمطربين عالميين أحبهم وفى عملى فإنى أتناول وجباتى كاملة على نفقة العمل وأنا فتاة مظهرى كويس.. يقولون عنى إنى جميلة ورشيقة "وشيك" جدًا فى ملابسى بشهادة كل من يعرفنى. وقد تعلمت لكنى لم أحصل على الإعدادية.. وأقرأ جيدا وأقرأ بابك بانتظام.. لذلك كتبت إليك لأسألك عن رأيك فى مشكلتى... فى المشكلة العامة التى أمثلها.

المشكلة أننى أحب عملى جدا وأحترمه جدا... وأرى فيه نفسى. كما أن أصحاب العمل يحترموننى جدا ويعاملوننى معاملة طيبة جدا. لكن ما يعذبنى هو أن "الناس" وخاصة الناس "الشعبيين" منهم لا يحترموننى. ولا يحترمون عملى!.

فأنا يا سيدى أعمل مربية فى بيت وقد عملت فى هذا العمل منذ ١١ سنة وأحببته جدا وأنا أنهض فى الصباح سعيدة فأؤدى أعمال البيت بنشاط ثم أتولى إطعام الطفلة الصغيرة الوحيدة. وإعداد ملابسها ثم تخرج السيدة ربة البيت إلى عملها ويخرج رب البيت إلى عمله.

ويصبح البيت مملكتى فأدير شئونه وأتولى رعاية البنت وإطعامها طعام الغداء.. حتى يعود الزوجان فيجدا البيت نظيفا مرتبا والطفلة نائمة فى سريرها وهما يحباننى ويحترماننى ويثنيان على عملى دائما ولى يوم أجازة كل أسبوع، وساعات عملى من ٧ صباحا إلى ٧ مساء وبعدها أنا حرة أستطيع أن أذهب إلى أى مكان وأستطيع المبيت فى بيت شقيقتى والعودة فى الصباح، لكن ما يعذبنى هو نظرة الطبقات الشعبية لهذا العمل أننى فى نظرهم خ.... أى هذه الكلمة الفظيعة التى لا أستطيع أن أنطقها والمكوجى والزبال والبواب يعاملوننى باستهتار عجيب مع أن رب البيت وكل أصدقائه وأقاربه يعاملوننى باحترام

وعلى قدم المساواة... وما يعذبنى أكثر أننى إذا تعرفت بأحد بفتاة أو بشاب عاملنى فى البداية باحترام لمظهرى ولباقتى ولبسى وجمالى أساورى فإذا سألنى ماذا تعملين.. وأجبته بصراحة لمحت آثار الصدمة فى عينيه.. ثم لا يلبث أن تتغير نظرته لى.. وغالبا ما يسرع بالفرار.. والعجيب أن هذا الشباب الذى يحتقرنى يكون ساكنا فى شقة فى المساكن الشعبية.. ولا يجد ثمن تذكرة الأتوبيس لأن معاه دبلوم مثلا ولقد أسهم التليفزيون والإذاعة فى رسم هذه الصورة غير المحترمة لنا وأريد منك أن تقول للناس إن هذه الصورة للشغالة التى تتدلع فى الكلام وتقول. "حاضر يا سيدى" .. غير موجودة. صدقنى والله العظيم غير موجودة.. إننى والله العظيم أفرض احترامى على الناس وتركت بيوتا عديدة بسبب هذا الاحترام.. لكنى أسأل لماذا يحاصرون من تعمل عملى بالنظرة الوحشة. وبعدم الاحترام ولماذا يرفض شاب فقير معاه دبلوم وأهله ناس "بساط" خالص أن يتزوج من مربية فيها كل الصفات التى يتمناها وتتقاضى راتبًا أضعاف راتبه لماذا المربية وحدها محرومة من حقها فى أن تذهب إلى الكوافير.. وفى أن تلبس ملابس شيك والله العظيم إن فيه مربيات بيتصرفوا ويتكلموا كويس جدا ومتعلمين.. لكن بيحترموا عملهم وبيحبوه وأنا بحب عملى. ولن أتركه أبداً.. مهما قيل.. لكنى أريدك أن تشرح للناس الحقيقة لكى لا يحتقروا من تعمل فى نفس عملى.

ويتوقف الشريط الغريب الذى نقلنى فجأة إلى عالم جديد لم أتلق منه من قبل أية رسالة. ويشدنى فى الشريط صوت صاحبة الرسالة المعبر والمختنق بالبكاء فى أكثر من موضع.. ثم اللهجة الراقية حقيقة بلا مبالغة فى الحديث والكلمات المهذبة التى تنطق بها صاحبة الرسالة. أما أول انطباعاتى عنه فهو أنه يثير مشكلة حقيقية من مشكلات مجتمعنا.

أنت يا صديقتى على صواب.. ومجتمعنا على خطأ... لكنه خطأ فى طريقه إلى الاختفاء يوما ما مع انتشار الوعى بقيمة العمل الشريف مهما كان نوعه وعملك هو عمل شريف. وعمل مهم وضرورى.. ولعله أكثر فائدة من أعمال كثيرين ممن يرتدون البدل والبنطلونات. فالتربية عمل مفيد وراق وضرورى وأعمال البيت أيضا أعمال ضرورية ومهمة وتزداد الحاجة إليها يوما بعد يوم، وعملك فى المجتمعات المتحضرة عمل شديد الاحترام وتؤجر عنه المربية بالساعة.. وتذهب إليه بسيارتها الخاصة.. وتتمتع باحترام معارفها وأهلها وجيرانها.. وسوف نصل إلى هذا تدريجيا مع الزمن ومع زيادة الوعى بقيمة العمل وبشرفه بدليل أن أصحاب الأعمال ومجتمعهم يحترمونك ويحتاجون إليك فى حين مازال الوعى أقل من ذلك فى المجتمعات الأقل تعليما. أما قلقك من نظرة الشباب إليك فأنت محقة فى ذلك وإن كنت واثقا من أن بعضهم يحسدك على حياتك وراتبك لكنها فى النهاية مشكلة ستحل مع الزمن.. كلما ازداد الإيمان بأن الناس جميعا متساوون أمام الله يدخلون الدنيا عرايا ويغادرونها عراة

وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بدينه وخلقه وأهمية ما يقدمه للمجتمع من خدمات، فواصلى طريقك وسوف تجدين شريك حياتك الذى يقدرك ويحترمك حين يأذن الله بذلك.

قد يرى البعض أن هذه الرسالة لا تمس مشكلة جادة من مشاكل حياتنا، لكننى مع ذلك أستجبت لرجاء صاحبها فى نشرها وطلب الرأى فيها.. ليس فقط لأن كاتبها شيخ فى الثمانين من عمره ورجاء الشيوخ لا يرد كما يقولون. وإنما أيضا لأنها تحكى عن صورة غريبة من صور الحياة التى يخطئ الإنسان كثيرا إذا ظن يوما أنه عرفها تماما وفهم كل ألغازها: تقول كلمات الرسالة:

دفعنى للكتابة إليك أننى لم أجد فيما أقرأه فى مآسى بريد الجمعة مشكلة مشابهة لمشكلتى.. لذلك فقد قضيت على ترددى وقررت أن أكتب لك راجيا منك فى البداية ألاَّ تسخر من مشكلتى.. فإياك يا بنى أن تسخر من أحد فلعلك تحس يوما بإحساسه إذا وضعتك الظروف فى مثل ظروفه، والحق أننى لا أقصدك شخصيا بذلك وإنما أقصد من قد يقرأ رسالتى فيعجب منها ولأدخل فى المشكلة مباشرة فأقول لك:

١٦ إننى رجل قاربت الثمانين من العمر، وفى المعاش منذ سنوات بعد وظيفة محترمة للغاية، وأتقاضى معاشا مناسبا، وأنا والحمد لله فى صحة جيدة، وقد توفيت زوجتى منذ سنوات طويلة ورفضت أن أتزوج من بعدها لكى لا أتسبب فى أية آلام

لأبنائى وبناتى وقد توليت تربيتهم تربية حسنة وشبوا جميعا وتفرقوا فى أنحاء الوطن كل فى عمله وحياته أو فى بيت زوجها ووجدت نفسى وحيداً بعد رحلة العمر لا أجد أنيسا ولا ما يخفف عنى وحشة الوحدة. روتين يومى لا يتغير أبدًا، وهو روتين ممل جدا وأكاد أعيش فى سجن انفرادى بشقتى، وقد فكرت فى حالى وشكوت إلى زملائى من أصحاب المعاشات فتقدم كل منهم باقتراحه لمواجهة مشكلة وحدتى، فاقترح أحدهم أن أتزوج فرفضت لأنه اقتراح مستحيل. واقترح آخر أن أتبنى فتى أو فتاة فرفضت لأنه اقترح غير مأمون العاقبة ولا أراه مناسبا وأنا رجل متمسك بتعاليم دينى، واقترح ثالث أن التحق بدار للمسنين والعجزة فأجد فيها من يؤنس وحدتى فرفضت أيضًا لأنى لا أتصوره حلاً مناسبًا لمشكلتى. وخلال هذه الدوامة شاهدت فجأة فتاة أو سيدة تقترب من الأربعين شديدة الشبه بابنتى الغالية فى ملامحها وملابسها المحتشمة. فارتاحت لها نفسى وشعورى وعلمت بعد قليل أنها سيدة متزوجة ومحافظة على نفسها وزوجها، لكنى لم أتمالك نفسى تجاهها. إذا قلت إنه الحب فلن أقول إن ذلك ليس صحيحا. لكنه إن شئت حب شفوى أو رومانسى كما يقول شباب هذه الأيام، فلقد وجدت نفسى أسيرا لهذه السيدة فاقتربت منها وتفاهمت معها على أن تعتبر نفسها ابنتى، وأن أعتبرها ابنة لها كل حقوق ابنتى.. وكأنها ابنتى التى تعيش مع زوجها فى مدينة

أخرى، وكانت شروطى عليها هى أن أزورها فى بيت أهلها لأراها كل فترة أو أن التقى بها فى مكان عام محترم كالنادى مثلا، أو كازينو عام محترم ولو مرة كل شهر. وأن تقبل منى بعض الهدايا فى المناسبات حتى أحس ولو كذبا بأنها ابنتى، أو أن تزورنى فى مسكنى مع بعض أهلها لتبدد وحشتى فى المناسبات غير أن بعض أهلى وأنا كبيرهم يعارضون فى كل ذلك محافظة على احترامهم و حترام الجيران، وأنا من ناحية أخرى لا أرى بأسا فى كل ذلك، بل وأراه أفضل كثيرا من وجودى وحيداً فى سجن انفرادى بشقتى.. وأراه أفضل من إقامتى فى دار المسنين والعجائز وأراه أفضل من الانتقال للإقامة مع أحد أبنائى أو مع ابنتى حيث يعيشون خارج القاهرة، لأني لا أحتمل ضجيج أحفادى.. ولا أحتمل ترك القاهرة والابتعاد عن أطبائى. وأريد مشورتك فى كل ذلك بغير سخرية فهل تفعل؟

نعم أفعل يا سيدى وبغير سخرية إن شاء الله لأنى لا أسخر أبدا من الآم الناس ولأنى اعتدت أن احترم الآم الآخرين وأن أتعامل معها بجدية مهما بدت للبعض تافهة أو ثانوية.. وأنا أرى يا صديقى أنك فى محنة كبيرة فأنت مهما حاولت أن توهم نفسك بمسألة البنوة الخيالية هذه فإنك فى رأيى تعانى من حالة غرام شديدة وفى سن خطرة ولا عجب فى ذلك رغم غرابته فكل إنسان معرض لما تعانيه وفى أى مرحلة من العمر مادام بين جانبيه خافق. لكنى أنصحك بنسيان هذه القصة كلها وباحتمال وحدتك أو باختيار أى بديل آخر ولو كان الزواج من أرملة فى عمر مقارب لسنك، وبعض الداء أهون من الدواء! والدواء الذى تتداوى به من وحدتك الآن يا سيدى خطر، ويعرضك لعواصف وزلازل لا تليق بك فى هذه السن ولا تحتملها. وأهونها هو استنكار أهلك وأبنائك ومجتمعك. وتعريض نفسك لما تكره. ومصادمة المجتمع فى قيمه وأعرافه ليست من الحكمة فمصادمة قيم المجتمع الذى تعيش فيه بشدة كما تفعل الآن يعرضك لمتاعب أنت فى غنى عنها، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه.. وليس كل ما تهفو إليه

النفس مما يقبله الشرع والمجتمع، لذلك أمرنا جميعا بمغالبة النفس الأمارة بالسوء، ولو انقاد كل إنسان لما تهفو إليه نفسه لتحول المجتمع إلى غابة ينتزع فيها كل إنسان ما تحبه نفسه وترضاه مهما كان مخالفا للدين وللقيم، لذلك فإن ما تطلبه قد يكون مقبولا فى مجتمعات أوروبية مثلا، لكنه ليس مقبولا فى مجتمع كمجتمعنا لا يتقبل هذه العلاقة ولا يفهمها، إلا كعلاقة غير سوية مع سيدة متزوجة، ناهيك عن احتمالات العبث والرغبة فى الاستفادة من الجانب الآخر.. وهو احتمال قائم بكل أسف! لذلك أنصحك بأن تعرف نفسك أولا ومن عرف نفسه جيدا عرف الناس جميعا وفهم مشكلته الحقيقية، وأنصحك بألاَّ تتمادى وراء أية أوهام "أبوية" فى الموضوع كله فالأبوة هنا بريئة من هذه القصة كلها، خاصة وأن ابنتك الحقيقية الغالية كما تقول عنها على قيد الحياة والحمد لله... وزيارتك لها أو زيارتها لك ليست مستعصية.. فلماذا تبتعد عنها وتبحث عن صورة لها.. ولماذا تبحث عن الصورة أصلا ولديك الأصل.

ترددت كثيرًا فى أن أكتب إليك هذه الرسالة وسوف تعرف السبب بعد قراءة سطورها، فالحق أنه من الصعب جدًا أن يكتب الإنسان عن عيب جوهرى فى شخصه، وقد استجمعت شجاعتى لكى أكتب لك عن مرضى العضال لأنى لم أعد راضيًا عن نفسى بسببه وقد تتصوّر أننى مريض بمرض عضوى، لكن الحقيقة غير ذلك فأنا والحمد لله سليم الجسم وقد أكون سليم النفس أيضا لكنى مريض بشىء عجيب جدا هو "قلة الأدب". وقلة الذوق أيضا!

وأرجو ألاَّ تسخر منى فأنا جاد فيما أقول. ولا أستطيع أن استشير أحدا فى هذه المشكلة، وقد لاحظت أن كثيرين قد أصبحوا يعانون من نفس مرضى.. وأن مرضاه قد امتدوا إلى ما نسميه بطبقة المثقفين، فأنا أعمل فى مركز مرموق وأنا جامعى مثقف ولم يواجهنى أحد من الذين حولى من قبل بحقيقة عيبى لكنى ألاحظ دهشة وذهول من حولى حين يسمعون هذه الألفاظ النابية الجارحة تصدر عن هذا الشاب المثقف ابن الأصول كما يقولون!

والمشكلة هى أننى لا أستطيع السيطرة على نفسى فتندفع من فمى أقذع ألفاظ السباب مع العلم أنى نشأت فى بيئة

صالحة. وكنت إلى عهد قريب إنسانا مهذبا أو على الأقل إنسانا طبيعيا. ثم انقلبت فجأة إلى هذا الشاب البذىء وأعترف أنى وجدت متعة بالغة فى استعمال تلك الألفاظ النابية. ثم أصبحت هذه الكلمات وهذه الألفاظ هى طابع شخصيتى الآن. ولن أطيل عليك.. لكنى أسأل هل أجد لديك علاجا لهذا الداء. .....

ولكاتب هذه الرسالة أقول

أثارت هذه الرسالة دهشتي وعجبى ى نفس الوقت فهى المرة الأولى التى أتلقى فيها رسالة من مريض بقلة الأدب كما يقول.. والمريض هنا كما يقول هو شاب مثقف خريج إحدى الكليات وليس هذا وجه العجب وحده فالسوقية، والكلمات النابية قد أصبحت "فولكلورا" شعبيا فى قاموسنا بكل أسف مع هبوط الذوق العام وانحسار القيم فى أوساط عديدة لكن ما أثار عجبى بحق هو قوله عن نفسه إنه كان حتى فترة قريبة شخصًا مهذبًا أو طبيعيا ثم انقلب فجأة إلى مريض بقلة الأدب يجد متعة غريبة فى استخدام ألفاظ الشتائم والكلمات النابية! ولا معنى لذلك يا صديقى فى تقديرى سوى أنك قد وجدت نفسك فجأة فى وسط يستخدم فيه بعض زملائك ألفاظ السباب الفاحش كروتين يومى، فترددت أولا فى مجاراتهم ثم أصابتك العدوى، وتفاقمت حالتك لأنك تستخدم هذه الألفاظ غالبا مع من لا يستطيع أن يردها إليك بأحسن منها، وأغراك ذلك بالاستمرار وهنا خطورة عامل البيئة التى تعمل فبها، فالإنسان هو ابن بيئته ووسطه وهنا أيضا خطورة استمرار واستمراء الخطأ لأنك تواجه بهذه

الهواية من لا يردعك عنها، وهذه مصيبة كثيرين ممن يملكون السلطة على البسطاء، أظنني عرفت ماذا تعني يا صديقي رغم أنك حاولت التمويه عليَّ بقولك إنك جامعي فأنت جامعي فعلا تحمل الشهادة العالية التي تحملها لكنك جاهل بالتأكيد في حسن معاملة الناس، وفي احترام الآخرين فإذا كانت تستمتع بإيلام الآخرين فأنت ولا شك مريض النفس، وإذا كنت ترغب في العلاج فليس لدي علاج لك سوى أن تتذكر دائما هذه الكلمة إذا دعتك قدرتك على سب الآخرين فتذكر قدرة الله عليك.

إنني في النهاية أحيي فيك صدقك مع نفسك بكتابتك هذه الرسالة وطلبك لعلاج هذا الداء... لكن دواءك لابد أن ينبع من نفسك أنت أولا فإذا كنت راغبا فيه فسوف تتخلص من هذا المرض العجيب وإذا لم تكن راغبا رغبة صادقة في ذلك فلن تشفى منه وليس ذلك بغريب فقديما قيل: لكل داء دواء يستطب به.. إلا الحماقة أعيت من يداويها.

استفزتنى هذه الرسالة، فدفعتنى إلى نشرها على الرغم من أننى تناولت من قبل المشكلة الأساسية التى تتحدث عنها وقلت فيها رأيى بوضوح تام.. لكن هذه الرسالة "الاستفزازية" أرغمتنى على تناولها مرة أخرى وأرجو أن تكون الأخيرة!

تقول كلمات الرسالة:

"سأبدأ قصتى التى أريد أن أقرأ رأيك فيها فى أسرع وقت، بالرجوع إلى الوراء قليلا، فمنذ عدة سنوات مرضت شقيقتى الوحيدة فجاءت طبيبة شابة لفحصها.. وقامت بمهمتها على خير وجه وعقب انتهاء الكشف جلست من الطبيبة بضع دقائق لنتحدث عن مرض شقيقتى، وتناقشنا فى مرضها وجرى الحديث بيننا بالإنجليزية والفرنسية وكانت تتكلمهما بطلاقة، كما كان تخصصها فى عملها الحكومى يتشابه مع تخصصى فى بعض الأوجه، مما أوجد مجالات للحديث بيننا والحق أنى وجدت فيها إنسانة رائعة جميلة، ومن أسرة محترمة ووالدها يشغل مركزا مرموقا، وتكررت زياراتها وشجعتنى شقيقتى على التقدم لخطبتها، فخطبتها وكنت فى هذه الفترة أعد للماجستير على نفقتى الخاصة، ثم واجهت طارئا استنفد كل مدخراتى إلى جانب أنى العائل الوحيد لوالدتى،

فاصطدمت بمشكلة عجزى عن توفير نفقات الزواج والمهر بعد نفاد مدخراتى، فصارحتها بما حدث وبحقيقة الموقف فكان ردها هو أن المهم هو حصولى على الماجيستير لمستقبلى أما نفقات الإعداد للزواج فهى على استعداد لدفع كل مدخراتها لشراء الجهاز ودفع النفقات، على أن أعتبر ذلك دينا علىَّ رده عند الميسرة، وتم ذلك بالفعل وفى سرية تامة، فلم يعلم بذلك أحد من أسرتها وتزوجنا وعشنا أياما سعيدة بكل معنى الكلمة وبعد عام من زواجى رشحنا نحن الاثنين للحصول على الدكتوراه من إحدى الجامعات الأجنبية بالخارج.. وواجهتنا مشكلة الأثاث الذى اشتريناه منذ عام واحد ماذا نفعل به، لكنها وبشجاعة تذكر لها طلبت منى السفر وحدى فى البداية لأجهز شقة نقيم فيها ولأعمل على أن تكون دراستنا فى نفس الجامعة لكى نكون معا دائما على أن تتولى هى التصرف فى أثاث البيت، وسافرت بالفعل ولحقت هى بى بعد أن باعت أثاث بيت الزوجية، وبعد سفرى تعثرت أنا فى دراستى التحضيرية للدكتوراه فقد كانت الدكتوراه التى رشحت لها فى فرع مخالف لتخصصى. فشدت زوجتى أزرى وساعدتنى معنويا وأدبيا ثم سعت لدى مدير البعثة وكان من أقاربها لتحويل بعثة الدكتوراه التى رشحت لها إلى موضوع تخصصى. وكان الرجل كريما فوافق. وتحطمت عقبة أخرى مهمة فى حياتى فاستطعت الحصول على درجة الدكتوراه، وحصلت عليها هى أيضا فى نفس

الوقت، وخلال هذه الفترة ونحن فى الخارج ووسط هذه الحياة السعيدة.. والمشاركة الكاملة فى الدراسة والبيت وبرامج الفسحة فى عطلة نهاية الأسبوع، تنبهنا إلى أننا لم ننجب أطفالا.. وإلى أن زوجتى لم تحمل، فقامت من جانبها بعرض نفسها على عدة أطباء لأمراض النساء فلم يجدوا بها عيبا، ثم طلب أحد أطبائها الكشف علىّ أنا فرفضت لأنى متأكد من أننى سليم تماما، وانتهت أيام البعثة بذكرياتها الجميلة وعدنا للقاهرة فواجهتنا شقيقتى الوحيدة بثورة عارمة بسبب عدم الإنجاب.

وعشنا بعد عودتنا من الخارج عدة سنوات فى منتهى السعادة لا يعكر صفونا إلا تدخل شقيقتى فى حياتنا بخصوص موضوع الإنجاب، أما والدتى يرحمها الله فكان من رأيها أن زوجتى لا تعوَّض، لكن شقيقتى ولديها غابة من الأطفال نقد قلبت حياتنا جحيما بسبب الإنجاب وأغرتنى بالزواج فى السر من أخرى، وعرضت علىّ فتاة خريجة أحد المعاهد المتوسطة فاتها قطار الزواج على استعداد لقبول أن أتردد عليها يومين كل أسبوع فقط، وأردت التحايل على زوجتى لإبلاغها بالخبر بطريقة ملتوية فقلت لها إنى سأتغيب فى عملى يومين كل أسبوع فقالت لى إنها ستمر علىّ فى عملى بعد انتهاء عيادتها لتطمئن على فلم أجد مفرا من إبلاغها بالأمر، فطلبت الطلاق وقالت لى إنها ستتنازل عن كل حقوقها تجاهى مقابل الطلاق، فاستكتبتها ورقة تفيد

أنها حصلت على جميع حقوقها، وانفصلت عنى فى المعيشة فى حجرة منفصلة لحين حصولها على الطلاق لأن الشقة التى نعيش فيها ورثتها عن والدها.

وعلى الرغم من أننا مازلنا نعيش فى نفس الشقة فإننى مازلت حائرًا ماذا أفعل؟ فهى الزوجة التى شرفتنى فى الداخل والخارج... وهى الزوجة التي وقفت إلى جانبى فى أحلك الظروف. فهل إنجاب طفل يساوى التضحية بها؟ إننى أرجو أن أقرأ ردك مهما كان قاسيا وأعدك أن أسير على هداه وأن أعمل بما تشير به علىَّ.

هذه هى الرسالة التى أرغمتنى على إعادة تناول هذه المشكلة الشائكة ولأنى قد كتبت عنها من قبل فلن أطيل فى ردى على هذه الرسالة.

يا صديقى إننى لا أعرف تخصصك العلمى على وجه التحديد، ولا أعرف فى أى مجال من مجالات العلم والطب أنت دكتور.. لكنى أعرف بالتأكيد أنك دكتور وبدرجة الامتيز فى فن الجحود والبطر!!

يا دكتور أعطتك الدنيا زوجة رائعة كهذه الزوجة.. جميلة ومن أسرة طيبة ومحبة ومخلصة وقادرة على العطاء.. بل هى نهر من العطاء المستمر لك منذ عرفتك من تقديمها ثمن الجهاز لك فى السر لكى تحفظ عليك كرامتك أمام أسرتها، إلى الوقوف بجوارك فى أغلب الظروف إلى مساندتها العلمية والمعنوية لك فى دراستك.. إلى سعيها لدى قريبها مدير البعثة لتعديل بعثة الدكتوراه لك لكى لا تعود هى بالدكتوراه وتعود أنت بالخيبة والفشل، إلى توفير كل أسباب السعادة لك.. إلى التفاهم والتقارب الفكرى والعلمى بينكما الذى يسمح لكما بتبادل الخواطر والأفكار بالإنجليزية والفرنسية! حتى الشقة التى تعيش فيها الآن فى حياة منفصلة فى انتظار الطلاق هى شقتها التى ورثتها عن أبيها.. إلى كل شىء فحتى عند الخلاف كانت كريمة ومعطاءة فقررت التنازل لك عن كل شىء، فلا تتورع بعد كل ذلك

من أن تستكتبها ورقة تتنازل فيها عن حقوقها لك وهى التى لم تستكتبك ورقة مثلها حين دفعت من مدخراتها ثمن الجهاز، ولعلك لم ترد دينك هذا إليها حتى الآن.. لكنه على أى حال دين بسيط لا يقاس بأى حال من الأحوال بديونها الأخرى عليك.. ثم تفكر بعد كل ذلك يا دكتور، يا من وصلت إلى أعلى درجات العلم فى الاستجابة لوسوسة شقيقتك أو لوسوسة نفسك بمعنى أصح، تفكر فى الزواج مرة أخرى من فتاة عادية فاتها قطار الزواج وليس فيها ما يغرى بالإقدام على هذه الحماقة.. فحتى الإنجاب منها ليس مضمونا وفى علم الغيب أليس هذا جحودا لا مثيل له لعطاء هذه الزوجة الرائعة؟.

أو ليس هذا بطرا بل كفرا بالنعمة التى غمرتك بها الدنيا إنك غارق يا صديقى فى نعيم لم تحسن تقديره.. لأنك إنسان والإنسان لا يرى غالبا ما بين يديه من أسباب السعادة ولا يتحدث بنعمة الله عليه غالبا.. لكنه يرى فقط ما ينقصه دائما.. ويولول له ويشكو من نقصه.. إننى لا أنكر عليك رغبتك فى الإنجاب.. لكن هل تساوى وحدها التضحية بهذه الحياة السعيدة وبهذه الزوجة الممتازة.. لقد تصورت أنك تستطيع أن تجمع كل أسباب النعيم من طرفيه.. يا صديقى لا تتبطر على ما أنت فيه من نعيم ومزق الورقة التى استكتبت زوجتك لها.

وأطرق باب غرفتها واطلب صفحها.. وتخل عن مشروع الزواج الجديد، واعتبر ما جرى مجرد ضعف بشرى أرجو أن تقدره زوجتك الطيبة وتغفره لك.. لا لشيء إلا لأنك إنسان فى النهاية وقتل الإنسان ما أكفره!!

منذ فترة طويلة وأنا أفكر فى أن أكتب إليك لا لشىء إلا لأن أزيح عن صدرى بعض همومه. وقد حزمت أمرى وقررت أن أكتب إليك بعد أن قرأت رسالة فتاة من قاع المدينة "لأروى لك قصة سيدة من قمة المجتمع فلعلَّ فيها ما يفيد قراءك ويطلعهم على جانب أخر من جوانب الحياة.

19

أنا يا سيدى زوجة لرجل أعمال يعمل أو كان يعمل بمقاولات المبانى تزوجته منذ ٢٣ عاما وكان ناجحًا جدا فى عمله يكسب كثيرًا وينفق أكثر نسكن فى أرقى أحياء القاهرة وفى عمارة كل ساكنيها من علية القوم ونركب السيارات الفاخرة ونسافر إلى أوروبا، ونستخدم فى منزلنا الشغالين والشغالات وأنا سيدة محترمة فى وسطى مظهرى محترم باحتشام. معاملاتى مع الناس راقية ومجاملة إلى أقصى الحدود أرعى بناتى بحنان وحزم وأشرف على دراستهن بنفسى، أما زوجى فهو الآن فوق الستين بثلاث سنوات رجل منظم فى عمله يعطى كل شىء حقه ويجيد الإنجليزية والفرنسية بطلاقة ولأن زوجى كان يربح كثيرا فإنى لم أهتم بمواصلة تعليمى بعد حصولى على الثانوية العامة وقبعت فى البيت أشرف عليه وأنظم حياة زوجى، وكان البيت هو مملكتى فلم أفكِّر فى العمل

ومضت سفينة حياتنا هادئة لولا أن زوجى كان قد اعتاد أسلوب حياة حاربته بلا هوادة بلا جدوى لقد كان هناك من يقف فى طريقى دائمًا وهم هيئة المنتفعين بالسهرات والهبات وهم أصدقاؤه أو من كان يظنهم أصدقاؤه، فقد كان ينفق عليهم الكثير وكان يقدم لبعضهم رواتب شهرية ثابتة غير الهدايا لدرجة أن أحدهم – ولن تصدقنى – قد أسس شركة مقاولات خاصة به من عطايا زوجى وماكيناته وآلاته وأصبح الآن يتكلم بلغة الملايين. وبسبب الخمر والنساء والبذخ وليالى السهر غير البرىء انكسر زوجى فى السوق. وبدأ المال يتسرب من بين يديه ثم تسرب أيضًا العقار الذى كان يملكه ثم الآلات التى كان يعمل بها، ثم تغيرت الدنيا وأه ياصديقى من الدنيا حين تقلب لأحد ظهر المجن: تبدد المال وتسرب العز شيئًا فشيئًا وخلا البيت من الشغالين واحدًا وراء الآخر وبدأت الملابس الفاخرة تبلى وتصبح ملابس قديمة، ولا بديل لها لأنه لا شراء لملابس جديدة، ولأنه لم يعد هناك دخل منتظم إلا ما يجىء بين فترة وأخرى من بيع شىء. التليفون الذى كان يرن عشرات المرات كل يوم أصبحت الأيام تمضى طويلة وهو صامت لا ينطق، والسيارات الفاخرة تحولت أولا إلى سيارات صغيرة ثم بيعت بأى ثمن بعد ذلك، والأصدقاء الذين كانوا يتنافسون فى دعوتنا للسهرات والحفلات أصبحنا لا نراهم، ولا نسمع

صوتهم، وأصبحنا خلال عشر سنوات على الحديدة تمامًا، ولم يبق من معالم حياتنا القديمة سوى الشقة التى نعيش فيها فى الحى الراقى والتى لو خيرت لتركتها وتواريت فى زقاق صغير من أزقة القاهرة الخلفية لأعيش حياة قاع المدينة بلا تمثيل، فقد أصبحنا من أهل القاع يا صديقى وإن سكنا على القمة ولقد عرفت الطريق إلى باعة الملابس المستعملة أذهب إليهم متسترة وأعود من عندهم حاملة ما نحتاج إليه، وأصبحت أخشى أن أمر أمام أية فاترينة محل لكى لا أنظر إلى ما بداخلها خشية أن ينتابنى الضعف الإنسانى وأشتاق إلى شىء داخلها مما كنت أشتريه زمان بالدست.

وأصبح أكثر ما يغيظنى هو أن ينادينى الباعة وأنا أتعامل معهم يا ست هانم، فإنى أحس بسخرية مريرة حين أسمعها فأين هى هذه الست هانم؟ وحقيبة يدى خاوية الوفاض وأصبح أكثر ما يؤلمنى هو أن أجيب أبنائى بالجملة التقليدية كلما طلبوا منى شيئا يحتاجون إليه فأرد ومن أين الفلوس ألا لعنة الله على هذه الفلوس التى يشعر نقصها الإنسان بالعجز عن تلبية مطالب أبنائه، وبالإحباط لعدم قدرته وهوان شأنه:

لقد حاولت أن أبحث عن عمل بالثانوية العامة.. لكن أين هو هذا العمل وكم يساوى راتبه. وفكرت فى أن أعمل مديرة منزل لدى

إحدى الأسر لكن ذلك يتطلب وجودى خارج البيت تماما، وهكذا أصبحت العربية مليئة بالأثقال وعجلاتها تغوص فى الرمال.. ولا أدرى إلى أين المصير؟ لكنى أتمثل دائما قول الله تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة"، ومع تمسكى الدائم بهذا السلاح تنتابنى أحيانا بعض حالات التمرد الطارئة وأسأل نفسى أما آن لهذا الحائر بالصدر أن يغفو. لقد اختبرنى الله سبحانه وتعالى فى إيمانى بهذه الصعاب ولعل ذلك عقاب على ذنب جنيته ولا تسألنى ما هو هذا الذنب، فكلنا ذنوب.

وحتى كتابتى اليك هذه الرسالة أخشى أن تكون اعتراضا على قضاء الله، لكنى فى حيرتى حاولت أن أسمع رأيا من أحد فى محنتى. إن زوجى يرفض العمل لأنه بلا رأس مال وليست لديه الآلات اللازمة للعمل وقد مضت عليه الآن عشر سنوات وهو بلا عمل وبلا دخل ثابت، ومشوارنا مازال طويلا.. بناتى مازلن فى التعليم.. أنا أغص بحيرتى ومرارتى بين من يعاملوننى باحترام كهانم محترمة وبين واقع حياتى المر فما رأيك؟

رأيي يا سيدتى أنك سيدة محترمة فعلا وعملا، وأنه لا وجه لسخريتك من احترام الناس لك رغم أنك خالية الوفاض.. فأنت سيدة محترمة بأخلاقياتك وحسن معاملتك للناس وبإحساسك السليم بالمسئولية عن أسرتك وبناتك ثم متى كان المال وحده هو مبرر الاحترام، إن المال قد يكون سببا فى النفوذ والسطوة وقد يكون سببا فى قدرة الإنسان على تحقيق بعض ما يريد لكنه وحده لم ولن يكون أبدا سببا كافيا وحده لاحترام أحد.. فما أكثر من يملكون المال ولا يساوون شيئا، وما أكثر من لا يملكون الكثير لكنهم يساوون الكثير فى نظر غيرهم بأخلاقهم وقيمتهم واحترامهم لأنفسهم واحترامهم للآخرين إنها قضية مفروغ منها.

والمهم هنا هو مشكلتك الحالية، ومشكلتك الحقيقية هى فى رفض زوجك للعمل طوال هذه الفترة، وهو يرفضه لأنه لا يملك رأس المال ولا الآلات، وهذا السبب وحده يكشف سر مأساته إنه لا يريد أن يعمل عند أحد، وإنما يريد أن يعود كبيرا كما كان، وهذا مستحيل

فالإنسان العاقل هو من لا يتوقف طويلا أمام ما حدث ويسأل نفسه كيف حدث هذا ولماذا حدث؟ ولماذا وقع لى هذا وحدى دون غيرى. ثم يمضى العمر يجتر مأساته ويستنفد طاقته فى الحزن على ما ضاع.

إن الإنسان الواقعى لا يضيع الوقت فى البكاء على اللبن المسكوب، وإنما يستخدم كل طاقاته وقدراته فى التفكير والعمل على التغلّب على المشكلة التى تواجهه بأى خطوة عملية فى طريق الحل والعمل هو طريق الخلاص لك ولزوجك لذلك فإنى أنصح زوجك ألا يظل تابعًا فى البيت ينتظر رأس المال والآلات لكى يعود من حيث انتهى مقاولا كبيرا مرة أخرى، فلم لا يعمل موظفا أو خبيرا فى أى شركة مقاولات، ولا مكان هنا للأنفة ولا للتكبر فالعمل الشريف لا يعيب إنسانا وإنما يعيبه قبوعه فى البيت عاجزا عن تلبية احتياجات أسرته، وهذا العصر ليس عصر الأيدى الناعمة التى تستنكف العمل إلا فى ديكور معين، وإنما هو عصر الأيدى الناشفة من العمل فى أكثر من عمل صباحا ومساء كل يوم لتلبية مطالب الحياة الصعبة، لذلك فإنى أنصحه بقبول أى عمل كخطوة أولى فى مجال المقاولات، أو فى مجالات الترجمة باللغتين الفرنسية والإنجليزية أو فى أى مجال آخر ولو تلقيت استجابة بشأنه فى هذا الخصوص فسوف أقدمها لك بكل سرور، لكن يبقى بعد ذلك درس هذه القصة الذى لا يحتاج إلى جهد كبير لاستخلاصه

ولا أعرف لماذا تذكرت وأنا أقرا هذه الرسالة كلمة أمير المحدثين سفيان الثورى "من كان معه فضل من مال فليصلحه فإن الرجل إذا احتاج فإن أول ما يبدله هو دينه"!

وإصلاح المال كما تعرفين يا سيدتى لا يكون بحسن استثماره فقط، وانما يكون أيضا باتقاء الله فيه من كل الوجوه، لا بإنفاقه فى اللهو والفجور، ولو أن زوجك يا سيدتى سامحه الله قد أعطى المحتاجين الحقيقيين عشر ما أعطاه للمنتفعين لما خسر كل شيء ولو خسر المال بالفعل لظروف قاهرة لهيأ الله له من ينتشله من ضائقته ويحفظ عليه كرامته، وربما كان منقذه واحدا من هؤلاء المحتاجين الذين أقالهم من عثراتهم فى الماضى.

وهذا هو المعنى البسيط لهذه الكلمة العجيبة التى نستخدمها فى حياتنا اليومية كثيرا بغير أن ندرك كل أغوارها العميقة وهى كلمة "الستر" الذى أرجوه لك من أعماق قلبى فى أيامك الصعبة هذه.

أكتب إليك هذه الرسالة الخاصة لثقتى التامة بك وإن كنت لا أعرفك إلا من مآسى بريد الجمعة، ثم لسبب أخر استميحك عذرا فيه هو أننى لا أجد أحدا أبثه همومى بعد أن مات صديق عمرى وكان الوحيد الذى أستطيع أن أتحدث إليه فى مشاكلى.

مشكلتى باختصار هى أننى كنت موظفا كبيرا مرموقا محبوبا من زملائى ومرؤوسى، محترما فى منزلى مطاعا من كل أفراد أسرتى، ثم تغير الحال تماما بعد أن أحلت إلى المعاش منذ سنوات، فقد نسينى زملائى ومرؤوسى تماما، كأنى لم أعد على قيد الحياة، هؤلاء لهم عذرهم فى مشاغل الحياة لكن أفراد أسرتى ما هو عذرهم يا صديقى؟ لقد تغيرت أحوالهم معى كثيرا بعد إحالتى إلى المعاش، وتحول حب أبنائى وبناتى وزوجتى لى إلى كراهية وبغض، وتحولت طاعتهم لى واحترامهم لى إلى عقوق وإساءات، فجلوسى يضايقهم وسيرى يقلقهم، واستماعى للراديو ومشاهدتى للتليفزيون تثيرهم، فأين أذهب وليس لى مكان آخر "سوى بيتى؟

إننى أتساءل أحيانا عما جرى؟ فلا أجد سببا معقولا.. فهل يفقد الإنسان احترامه بين أسرته حين يحال إلى المعاش،

وينقطع الأمل والرجاء فيه؟.. قد أفهم أن يضعف هذا الاحترام عند طلاب الحاجات حين يفقد الإنسان قدرته على خدمة الآخرين بفقده لموقع عمله.. لكن كيف يتغير هذا الاحترام بين الأبناء وأفراد الأسرة نفسها؟

لقد تزايدت الخلافات مع زوجتى وتزايد تحريضها لأبنائى علىَّ حتى تفاقم الخلاف مع زوجتى سامحها الله، وانتهى بعزلى من جانبها فى حجرة بعيدة صغيرة فى البيت كانت معدة أصلا للشغالة.. وأصبحت وحيدا تماما فى أسرتى لا يكلمنى أحد ولا أكلم أحدا، حتى أنى لأكلم نفسى أحيانا خشية أن أنسى نطق الكلمات.. ووجدت نفسى محروما من دخول بقية غرف البيت الواسع التى تغلق دونى بالمفتاح، وأعيش منفصلا أعد لنفسى طعامى إذا سمح لى بدخول المطبخ، وأغسل ملابسى بيدى دون استعمال الغسالة الكهربائية..!.. قد تقول إن ذلك ضعف منى، لكنى أقول لك لا يعرف العذاب إلا من يعيشه فهو ليس ضعفا لكنه محاولة لتفادى أهوال ومشاكل ومضاعفات أمراض كثيرة أخطرها القلب والسكر.. وعلى الرغم من ذلك فإنى لا أنجو من العذاب فعند أى خلاف مع زوجتى ينضم كل أبنائى وبناتى جميعا إليها ضدى. وأبنائى وبناتى يقاطعوننى فلا يوجهون لى كلمة واحدة بالأيام والأسابيع والحياة فى الأسرة التى كنت عمادها حتى وقت قريب أصبحت تدور حول محور

آخر هو زوجتى المتجبرة سامحها الله.. والاجتماعات العائلية بين زوجتى وأبنائى تعقد فى الغرف المغلقة تناقش أخطر الشئون العائلية دون دعوة الأب لسماع رأيه، ولو من باب الشكل أما هذه الأمور فأبسطها خطبة ابنة من بناتى.. أو فسخ خطبة أبنة أخرى أو شراء سيارة! وحين أسمع فيما بعد بشأن من هذه الشئون اختنق بالدموع، وأتذكر كيف كانت كلمتى هى الكلمة الفاصلة فى مثل هذه الشئون منذ سنوات قليلة قبل أن يسقط احترامى بين أهلى.

وأريد أن أكون أمينا معك فأقول لك إننى ربما أعرف سببا أخر لما ألاقيه الآن من أبنائى وزوجتى هو عقوقى أنا شخصيا لوالدى الذى مازال على قيد الحياة.. فلقد نسيته أو تناسيته إرضاء لأسرتى فى بادىء الأمر، ثم أصبحت إقامتى معه أو مشاركتى لحياته أمرا مستحيلا فهى حياة متواضعة لا مكان لى فيها لاسيما بعد أن طعن فى السن وأصبح فى حالة غير طبيعية يحتاج فيها إلى عناية النساء.

فماذا أفعل الآن يا صديقى إن لى أبناء وبنات فى مراكز مرموقة، وفى سن الزواج ومن حقهم علىَّ أن أصون سمعتهم وكرامتهم أمام الجميع، وإن لم يبقوا لى على شىء منها، لذلك فإننى ما زلت حائرا ماذا أفعل هل انتحر؟ وأنا رجل مؤمن بالله؟ أم أهرب بعيدا عنهم؟ أم أطلق زوجتى.. وقد سبق أن فعلت.. أم أتزوج زوجة جديدة؟ أشر على يا صديقى فإنى لا أجد من أستشيره!

إنك لست فى حاجة إلى رأيى يا سيدى فأنت رجل فى قمة العمر وفى مرحلة النضج والحكمة.. لكنك فى حاجة إلى أن تبث أحدا همومك وآلامك، وتريد أن تخرج من صدرك كل البخار المكتوم قبل أن ينفجر الصدر بما فيه وفى ذلك بعض الراحة وبعض العزاء.

وقصتك مؤلمة بالفعل لكن سر تعاستك فيها ليس هو الإحالة إلى المعاش فالكثيرون يحالون إلى المعاش كل يوم، ولا يفقدون احترام أبنائهم وأسرهم بل لعلهم يزدادون محبة واحتراما بين أسرهم لتفرغهم لرعايتهم بعد طول انشغال.

إن مأساتك ليست فى المعاش لكنها فى الخلافات المزمنة مع زوجتك بدليل سابقة طلاقك لها، ومأساتك الأكثر إيلاما هى فى عقوق أبنائك وبناتك لك، وانحيازهم ضدك بتأثير هذه الخلافات، وهى أيضًا فى هذه العزلة القاسية المؤلمة التى تعيشها.. وفى هذا التجاهل الذى يرقى إلى مستوى الجريمة من جانب أسرتك لك فى الشئون العائلية، التى ينبغى ألا يغيب فيها دور الأب مهما كانت الخلافات.

لكن هناك أمرا آخر أريد أن أحدثك عنه وأرجو ألا أؤلمك به كثيرا وأنت فى محنتك هذه، إنك تعترف بأنك قد نسيت أباك الذى مازال على قيد الحياة إرضاء لأسرتك فى بادئ الأمر، ثم أصبحت مشاركتك له حياته، مستحيلة لأنها حياة متواضعة لا مكان لك فيها خصوصًا بعد أن طعن فى السن وأصبح فى حالة غير طبيعية!

أليست هذه كلماتك؟ لا بأس إذن فقد نسيك أبناؤك وأنت على قيد الحياة بجوارهم إرضاء لأمهم.. وربما لأنهم أصبحوا يرون أن مشاركتك حياتك واهتماماتك قد أصبحت الآن "مستحيلة" خصوصًا بعد أن كبرت فى السن!! أما علمت يا صديقى أن الدنيا ديون يسدد بعضها فى حياتنا ويسدد بعضها الآخر فى العالم الآخر.

إننى لا أبرر تصرف أبنائك فهو جريمة بكل المقاييس فى حقك، وفى حق الإنسانية "وحسابهم عنها مع ربهم.. ومع أبنائهم وبناتهم أيضا إن شاء الله، لكنى أسألك كيف أردتهم أن يكونوا أفضل منك أنت شخصيا فى علاقتك بأبيك.. وفاقد الشيء لا يعطيه كما تعلم؟ لم تعطهم المثل ولا القدوة فى الوفاء للأب والاعتراف بفضله، فكيف تنتظر منهم أن يكونوا أبناء أوفياء؟ خصوصًا فى جو الخلافات الزوجية الذى يهز القيم ويفسد الأخلاقيات، إنها فاتورة حساب كنت مدينا بها لأبيك وجاء وقت السداد!

إننى لا أريد مرة أخرى أن أؤلمك لكنك تسألنى ماذا أفعل، وسأقول لك ما تفعل: يا صديقى لا تنتحر ولا تطلق زوجتك.. ولا تتزوج زوجة أخرى.. ولا تفر بعيدا عن أسرتك. ولكن اذهب إلى أبيك الطاعن فى السن وقبل يديه وقدميه وأساله العفو والمغفرة، وأشكر الله كثيرا أن طال به العمر لكى يعفو عنك فلا تبوء بجريمتك فى حقه طول العمر. فإن عفا وسوف يعفو بالتأكيد سوف يأتى إليك أبناؤك طائعين ولو بعد حين، ليسألوك العفو والمغفرة. وسوف تتغير أمور كثيرة إلى الأفضل فى حياتك.

غفر الله لك ولنا وللجميع..

لا أعرف هل تتسع هذه السطور لأروى لك مشكلتى كاملة أم لا؟ لكنى سأحاول فى اختصار شديد أن أبدأ قصتى بأننى مهندس زراعى عمره ٣٥ سنة، تخرجت من ١٠ سنوات بتقدير جيد جدا ولم أعين معيدا بالكلية ولم أستكمل دراستى العليا لانشغالى فيها بعد بالعمل والزواج، وقد عملت فى إحدى الهيئات بالقاهرة وتعرفت على زميلة لى بالعمل لمدة ٣ شهور فقط تقدمت بعدها لخطبتها وزواجها.

وبعد عام من الزواج اكتشفت أننى لم أكن أعرفها جيدا وأن هناك تنافرا شديدا فى طباعنا فأنا رومانسى ورقيق المشاعر وهى جامدة قاسية وقد أصرت على أن نعيش مع والدتها التى تقيم وحدها فى وسط المدينة فكانت البداية جميلة، أما النهاية فمن أسوأ ما يمكن ولن أسرد لك التفاصيل، لكننى سأقول لك إنى رأيت استحالة الحياة معها فى بيت والدتها فانتقلت معها إلى أحد فروع الهيئة التى أعمل بها فى مدينة صغيرة بالريف، وتخيلت أن مشاكلى قد انتهت بعد أن بعدنا عن سيطرة أمها عليها لكنى مرضت بالتهاب حاد فى أعصاب القدم وبانزلاق غضروفى وقاسيت كثيرا وذات يوم ذهبت لاستشارة الطبيب ثم عدت فلم أجدها ولم أجد طفلتى التى تبلغ من العمر ٣ سنوات، وعلمت أنها سافرت لتقيم مع

والدتها لأنها لا تريد الحياة فى المدينة الصغيرة، وأنها قد نقلت نفسها إلى موقع عملنا السابق بالقاهرة، ساءت حالتى الصحية فرقدت على ظهرى لمدة شهرين بلا حراك أقاسى من آلام عضوية ونفسية رهيبة وأقاسى الأمرين إذا احتجت إلى كوب ماء ... وزوجتى فى القاهرة ترفض العودة.. وترفض أن تسمح لى برؤية طفلتى.

ولا أرى طوال هذه الفترة وجه طفلتى إلا فى الصورة الصغيرة القديمة التى أحتفظ لها بها.. وقرر الأطباء إجراء جراحة لى.. وانتقلت إلى القاهرة لإجراء الفحوص استعدادًا للجراحة. وطلبت من شقيقى الأصغر، الذى كان يلازمنى فى المستشفى أن يدعو زوجتى وطفلتى لأراهما قبل دخول حجرة العمليات. وأن يرجوها إذا رفضت الحضور أن تعطية طفلتى لأراها وأقبلها قبل دخولى حجرة العمليات، فذهب شقيقى ورجوت الأطباء الانتظار قليلا إلى أن تأتى ابنتى فقبلوا ثم عاد شقيقى صامتا فنظرت إليه بلهفة فخفض عينيه فى الأرض.. فلم أنبس ببنت شفة لكننى أغمضت عينى لأمنع دمعة من السقوط، ثم قرأت الفاتحة ونطقت بالشهادتين وقلت لمن حولى أنا جاهز للعملية.

وأجريت لى الجراحة ونجحت والحمد لله.. ويبدو أن شقيقى وأقاربى قد ألحوا عليها طويلا لتسمح لى برؤية ابنتى فرفضت أن

تتركها لهم، وجاءت معها إلى المستشفى متأففة.. وببرود شديد تنظر فى ضيق إلىَّ وأنا أعانق طفلتى وأقبلها ثم نزعتها منى بعد دقائق وانصرفت.

ولسوء حظى فلقد أصبت بالتهاب كبدى بسبب تلوث الدم الذى نقل لى أثناء الجراحة.. فرقدت فى الفراش لمدة ٦ شهور أخرى، لم أر فيها ابنتى ولا زوجتى مرة واحدة. ونجوت بفضل الله من هذا المرض، لكنى أصبت بعد ذلك بالتهاب حاد بأعصاب القدم مرة أخرى وبشد بالعصب، فلم أكن أغادر الفراش لعدة أيام حتى عدت إليه ورقدت فيه لمدة ٤ شهور أخرى، والحمد لله دائما. ثم عفا الله، بعد ذلك فغادرت الفراش وعدت إلى عملى بالقاهرة فى نفس الهيئة التى تعمل بها بعد إلغاء انتدابى، وبعد مرض دام حوالى سنة لم أر ابنتى خلالها سوى مرة واحدة، وكنت قد استنفدت فى العلاج كل مدخراتى فعدت كأنى أبدأ من جديد، فأقمت لدى شقيقتى بالقاهرة لكنى واجهت مشكلة صعبة هى مشكلة وجودى مع زوجتى المنفصلة عنى بلا طلاق فى نفس المكان. فلقد بدأت من اليوم الأول تكيد لى بكل الطرق بالخلاعة فى الملبس والمظهر، وفى البحبحة والهزار مع الموظفين.. وأنا أحترق كل لحظة وقد طرقت كل الأبواب للصلح معها. أو الطلاق بالتفاهم، بلا فائدة أو للانتقال لإدارة بعيدة عنها بلا فائدة. وقد حاولت طلاقها لكنى لم أستطع مواجهة قانون

الأحوال الشخصية الجديد، نظرا لاستنزاف كل مدخراتى فى العلاج، فحاولت أخيرا عن طريق القضاء وما زال التحقيق مستمرا كما يقولون.

وقد تحملت كل شيء لكنى لم أستطع أن أتحمل ما حدث عندما فوجئت ذات يوم بطفلتى التى لم أرها منذ ٦ شهور تدخل على حجرتى بالعمل، وتندفع إلى واندفع إليها ثم تقبلنى وتقول لى ببراءة كلما سألت عنك ماما تقول لى إن بابا مات، وقفت مذهولا وسكت كل زملائى مذهولين وحاولوا التخفيف عنى ثم جاءت أمها لتنزعها منى فتشبثت الطفلة بعنقى وحاولت بلا جدوى أن أقنع زوجتى بأن تتركها لى لعدة ساعات، على أن أحملها إليها فى بيت والدتها فخرجت مع ابنتى الممسكة بى ومع زوجتى لكى أتفادى الإحراج أمام زملائى ونزلنا الى الشارع وفى عرض الطريق ركعت على الأرض لأقبل ابنتى وأقنعها بأن تمضى مع والدتها فإذا بها تلف ذراعيها حول عنقى وتتشبث بى، وأفاجأ بأمها تجذبها بعنف وشدة من رجليها فيبقى نصفها معى ونصفها الآخر معها مثل الأرنب عند سلخه، فتركت البنت إشفاقا عليها فإذا بأمها تجرى بين السيارات وهى تحملها والبنت تصرخ وأنا أبكى والناس يتفرجون.

ومضى اليوم ومضت أيام بعده وبدأت ألاحظ أن وزنى ينخفض بسرعة مذهلة... ولا أظنك سوف تدهش بعد كل ما رويته لك حين تعرف أنى ذهبت للطبيب فاكتشف أنى أصبت بالسكر، وبدأت رحلة

علاج أخرى وأنا حاليا فى أجازة مرضية، وقد اتفق رأى الأطباء على ضرورة أن أترك مكان العمل الذى نعمل فيه معًا لكى لا تتكرر المآسى ولكى أبدا حياة جديدة مع إنسانة جديدة خاصة وأنا عمرى ٣٥ عاما. وعلى قدر كبير من الوسامة لكن كيف أجد عملا آخر له نفس الميزات من الراتب المعقول والحوافز الكبيرة، وأنا لا معارف لى ولا واسطة، إننى الآن فى دور النقاهة وأريد حلا لهذه المشكلة قبل عودتى للعمل. فما رأيك؟

أى راتب وأية حوافز وأية ميزات يمكن أن يتحمل الإنسان من أجلها هذا الجحيم، إنك تموت يا صديقى كل يوم عشرات المرات مما تلقاه، وتمرض فترقد فى الفراش بالشهور ولا يتحرك من أجلك قلب زوجتك الحجرى ثم تفكر فى فارق بضعة جنيهات فى الراتب والحوافز.

ابحث يا صديقى لنفسك عن عمل أخر بعيدا عن عمل زوجتك ولا تتشبت بالأوهام، فإنك كما يخيّل إلىّ ما زلت تأمل فى عودتها إليك بعد ما قرأته فى رسالتك فلقد أغلقت قلبها دونك، وهذا قدرك وكل إنسان معرض لذلك.

لكن الخطأ هو فى الاستمرار فى نطح الصخر بلا جدوى فلا داعى لمضاعفة العذاب.. وتحمل قدرك وأبدأ حياة جديدة مع غيرها عسى أن يعوضك الله معها عما لقيته من عذاب مع هذه الزوجة صخرية القلب والمشاعر.. ولا مفر من تحمل الابتعاد عن ابنتك حتى تبلغ السن القانونية أو إلى أن تجد طريقة مشروعة ولو بالقانون لرؤيتها كل حين فهذه هى الحياة يا صديقى حلوة أحيانا.. وقاسية فى أحيان

كثيرة.. لكن الزمن كفيل بمداواة الجراح وبنسيان كل الآلام أو بتخفيف حدتها على الأقل.

وصدقنى إن الإنسان قادر على نسيان كثير من الآلام.. ولولا قدرته على النسيان لما عاش ولما استمرت الحياة.. وما سمى الإنسان إلا لنسيه.. ولا القلب إلا لأنه يتقلب، كما يقول الشاعر.. وإنى واثق أنك ستنسى زوجتك هذه وعذابك معها بعد حين، فلا تتوقف أمام هذه المأساة كأنها نهاية الحياة، فأنت ما زلت فى بداية حياتك وإنى أسف لأن أقول لك ذلك، وأنا الذى لا أنصح أبدا أحدا بالطلاق إذا كان ثمنه ضياع طفلة رقيقة بين أبويها كطفلتك، لكن ما قرأته فى رسالتك يدفعنى دفعا لذلك فاللعنة على أى قانون مهما كان اسمه يجبر الإنسان على الاستمرار فى مثل هذه الحياة التى يحترق دمه فيها كل يوم ويمرض مما يراه ويعانيه. واللعنة على كل مميزات العمل التى تعرض الإنسان لكل هذا العذاب وهذا الجحيم، واللعنة على كل الأشياء.. إذا كان ثمنها أن تتعرض طفلة لما تعرضت له طفلتك.. وأمها تشدها من ناحية وأنت تشدها من ناحية أخرى مثل الأرنب عند سلخه" على حد وصفك المؤلم".. ألف لعنة عليه هو الآخر فلقد أدمى قلبى! لكن كم فى الدنيا من قساة لاهين ينقادون لأهوائهم ولأحقادهم ولعنادهم إلى أن يفيقوا على الصدمات المزلزلة بعد فوات الأوان، وزوجتك فيما تقول رسالتك واحدة من هؤلاء لسوء حظك ولسوء حظ ابنتك بكل أسف.

أتابع كل أسبوع ما ينشر من مشاكل فى بريد الجمعة على أمل أن أجد مشكلة شبيهة بمشكلتى فأستفيد برأيك فيها فلا أجد فيما أقرأه مشكلة مثلها.. ومشكلتى يا سيدى فى كلمة واحدة هى الخوف:

وأرجوك ألاَّ تسخر منى.. فهى مشكلة كبيرة أرجو ألا يتعرض لها أحد كما أرجو ألا تتصور أنى صبى صغير يخشى مواجهة الحياة، فأنا موظف عمرى ٤٨ عاما، ومتزوج ولى ٣ بنات ودخلى معقول يكفى متطلبات الحياة بالعافية، وأبواب الرزق الحلال مفتوحة أمامى على مصراعيها لكن ما يحول بينى وبينها هو هذا الوحش الكامن داخلى وهو الخوف فأنا أموت رعبًا ٢٤ ساعة كل يوم وأرتجف خوفا من كل شىء ومن أتفه شىء – فإذا كنت سائرا فى الشارع وشاهدت على الرصيف الآخر رجلا يتشاجر مع رجل آخر يقف خلفى أتصبب عرقا يتسلط على الإحساس بأن أحدهما سيتحول إلىَّ فجاة لينهال على ضربا مكتشفا لأول مرة أننى سبب هذا الشجار الذى نشب بينهما "بالرغم من أننى أراهما للمرة الأولى فى حياتى".

وليست صور أو انعكاسات مشكلتى تتوقف عند هذه الحالات البسيطة، لكنها تتعدى ذلك إلى ما هو أخطر منه بكثير

وسأروى لك نماذج سريعة لها.. سافرت منذ ٥ سنوات إلى الكويت بعقد عمل ساعدنى عليه المعارف والأصدقاء، وفى اليوم الأول لوصولى وتسلمى عملى كنت فى شقتى، حين فوجئت بالشرطة تدخل العمارة وتلقى القبض على شخص يسكن فى الشقة المجاورة لشقتى لاتهامه بضرب أخر فى اليوم السابق. ستقول وما دخلى فى ذلك؟ ولكن هيهات! فقد مت رعبا لمدة ٣٠ يوما بعدها، ومرضت وتسلط على الإحساس بأن جارى هذا سيتهمنى بما فعل وسيدخلنى السجن. ولم أستطع المواصلة وطلبت العودة وعدت مدينًا وما زلت أسدد ديون هذه الرحلة الخاسرة.

ومرة أخرى كنت أقوم بمراجعة وضبط حسابات بعض المحلات الصغيرة وكان دخلها يساعدنى على تلبية متطلبات الحياة. ثم حدث أن سرق أحد هذه المحلات. فتوفيت" أنا خوفا ورعبا من أن يتهمنى صاحب هذا المحل بسرقته"، وبالرغم من أن الجانى قد قبض عليه بعد أيام فقد أثرت البعد عن هذا المجال بعد الحادث وأغلقت أمامى هذا الباب من أبواب الرزق، وفى مرة أخرى كنت سائرا فى الزمالك لقضاء حاجة سافرت إليها خصيصا، فشاهدت طفلا صدمته سيارة وقائدها يقول: لقد جرى فجأة أمامى، ولن أروى لك ما حدث لى بعدها فلعلك قد فهمت من رسالتى ماذا حدث. لكنى فقط سأقول لك إن أطرافى تثلجت وأصبت برعشة شديدة فى مفاصلى وفقدت

القدرة على السيطرة على أى جزء فى جسمى، وحين استطعت أن أتحرك عدت فورا وبأقصى سرعة إلى الأتوبيس وعدت من حيث أتيت بغير أن أقضى ما جئت من أجله.

أعرف أنها حالات نفسية وأنك ستقول لى أعرض نفسك على طبيب نفسى أو طبيب أعصاب لكنى فعلت وذهبت إلى ثلاثة من كبار الأخصائيين دفعت لكل منهم "جمعية" بـ ٥٠ جنيها كاملة، ولا فائدة والآن ضاقت بى الحياة وضقت بها فجازفت بالسعى للعمل فى الخارج، وحصلت على عقد عمل فى دولة عربية وبأجر مغر وأجلت موعد السفر إلى ما بعد العيد، ووافق صاحب العمل ورغم ما تكبدته من نفقات لإعداد الأوراق وتوثيقها فقد بدأ الوحش الذى بداخلى يطل على من جديد، وبدأت أؤجل السفر والتمس الأعذار.. وبدأت أفكر فى أن أعالج نفسى قبل السفر لكن أين أجد العلاج المفيد، وأين أجد من يقبل علاجى فى عيادته ويؤجل قبض مستحقاته إلى ما بعد السفر، وأنا على استعداد لأن أعطيه أضعاف ما يريد وأن أعطيه شيكا أو كمبيالة بالمبلغ، بل إنى على استعداد لأن اقترض وأعطيه ما يطلب. أموت يوميا مئات المرات وآلاف المرات ولولا بعض العقل.. وبعض الإيمان لوضعت حدا لهذا العذاب الذى أعايشه ليل نهار، ولهذا الخوف الذى جعلنى أرفض عدة مناصب قيادية صغيرة وجعلنى محلك سر فى وظيفتى لهروبى الدائم من المسئولية .

ولكاتب هذه الرسالة أقول

تلقيت هذه الرسالة العجيبة فى بريدى هذا الأسبوع وسأتجاوز سريعا ما أحسست به من دهشة وأنا أقرأ كلماتها، لأقول لهذا القارئ المعذب بخوفه وأين هو بعض الإيمان فيها ترويه عن نفسك، إننى لا أريد أن أقسو عليك لأنك تعانى من حالة مرضية فيها اعتقد وليس على المريض حرج.. لكنى أتصور أن مرضك ليس بالشىء الخطير إلى جوار ضعف إيمانك.. وانعدام ثقتك فى الله وفى نفسك، مم تخاف يا رجل وأنت رجل ناضج وأب وموظف ومسئول؟ إن الخوف إحساس إنسانى غريزى.. وضعف بشرى مشروع وفى داخل كل إنسان منا لابد من قدر معقول من الخوف يرده، عن أن يرد المهالك ويساعده على تقدير المسئولية لكن كل شىء يزيد على حده ينقلب إلى ضده، والشىء عندك قد توحش فانقلب إلى حالة مرضية حادة.

ومشكلة علاجك ليست معضلة ولو اتصلت بى لوجهتك إلى أحد كبار الأطباء الأجلاء الذين يعالجون مرضى قراء البريد من محدودى الدخل بلا أجر. وبقدر عظيم من الفضل والرعاية كما أنى لو تلقيت أية استجابة لعلاجك فسوف أقدمها لك لكن المشكلة تبقى أكبر من

مشكلة حالة مرضية، وهى إن صح تقديرى حالة ضعف شديد فى الإيمان بالله.. خالق كل شىء ومقدر الخير والشر، فإذا كان كل شىء بقضائه وقدره فالخوف لماذا؟.

إننى أظن – وأستغفر الله فيما أظن – أن حالتك قد بدأت خلال ممارستك لعملك الصغير كموظف رأى من حوله يخافون من كل شىء وخاصة المسئولية، فخاف مثلهم من كل شئ.. ثم نما الخوف فى داخله حتى توحش.. وانقلب إلى حالة مرضية، وهى مصيبة لا أريد أن أتسرع فى تعميمها على نماذج عديدة، لكننى لا أتردد فى أن أرجعها إلى ظروف عامة صادفت لديك استعدادًا مرضيا للخوف فاستفحلت لديك وأعتقد أنك قد "تعلمت" الخوف فى المسئولية أولا فى مدرسة الخائفين، ثم تحول الخوف عندك إلى مرض، ولو كنت مصابا بهذا الخوف القاتل من بداية حياتك لما تزوجت غالبا ولما جرؤت على تحمل مسئولية الزواج والإنجاب مع تمنياتى لك بالشفاء.

"أنا فتاه فى الثانية والعشرين من عمرى طالبة بالسنة الثالثة بكلية عملية مرموقة، متفوقة فى دراستى وأنجح كل سنة بتقدير امتياز، تسألنى وما المشكلة فى كل ذلك فأقول لك مشكلتى باختصار هى أن كل من يرانى يعتقد أنى إنسانه عادية طبيعية فى تصرفاتى، مع أصدقائى ومع من حولى، لكننى فى واقع الأمر لست كذلك، فأنا بصراحة تامة دائمة "الحقد" على كل من حولي! إننى أستطيع أن اعترف لك بذلك لأننى أكتب هذا على الورق.. ولا ترانى ولا تعرفنى لذلك أستطيع أن أتكلم معك بحريتى. وقد تظن أنها مشكلة بسيطة لا تحتاج إلى الاهتمام، لكننى أؤكد لك أنها ليست كذلك، فأنت لا تتصور حجم المعاناة التى أعانيها كل "ساعة وكل لحظة.. إننى لا أتصور أحدًا "أحسن" منى ودائماً "أنظر" إلى ما ينقصنى وأجده عند غيرى فازداد حقدا ويزداد همى وتفكيرى، إلى درجة أعجز معها عن المذاكرة والامتحانات على الأبواب.. إننى أجد نفسى أحياناً أتمنى السوء لهذه الصديقة أو تلك وأتمنى لنفسى ما عندهن.. وتستغرقنى هذه الأفكار فى البيت وفى الكلية.. لقد حاولت أن أشغل نفسى بالقراءة فوجدتنى أغيب فى أفكارى الشيطانية.. وحاولت أن أجد حلا فى العبادة فوجدت هذه الأفكار تطاردنى حتى أثناءها... لقد فكرت

كثيرا فى الذهاب إلى طبيب نفسى لكنى لا أقوى على ذلك.. ولا أستطيع أن أصارح أحداً بدخيلة نفسى.. إننى أرجوك أن تنصحنى.. هل أنا مريضة نفسيا؟ وماذا أفعل لأتخلص من "نفسي" الشريرة هذه؟ إننى أبكى كثيرا وأتساءل لماذا أحقد على غيرى بهذا الشكل العنيف؟ فهل أجد عندك حلا لمشكلتي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

تلقيت هذه الرسالة "الفريدة" فى بريدى هذا الأسبوع وتأملتها طويلا! إنها لا شك رسالة "نموذج" لحالات عديدة مماثلة لكنى لم أتلق رسالة مشابهة لها من قبل..، وهذا يعنى يا صديقتى أولا أنك شجاعة وأنك "راغبة فى التخلص" من حقدك على البشر كما تقولين.. وأنت بذلك قد خطوت خطوة مهمة فى طريق العلاج.. الخطوة الأولى دائما هى أن نعرف أن ما نفعله خطأ، وأن نرغب فى الكف عنه وتغييره.

إننى لا أعرف على وجه التحديد ما الذى ينقصك وتجدينه دائما لدى غيرك وتتعذبين به وتحقدين على الآخرين حتى على أصدقائك من أجله، بسبب بسيط هو أنه لم يخلق بعد الإنسان الذى يجد لديه كل ما يريد، وما يطمح إليه فى الدنيا من مال وصحة وسعادة ونجاح ووسامة واستقرار وأبناء وحب الآخرين له.

فهو إن وجد المال الكثير قد لا يجد الصحة.. وإن وجد الصحة قد لا يجد المال.. وإن وجد الاثنين قد لا يجد السعادة وراحة البال، فإن

كان قصيرا فهو يريد أن يكون طويلا.. وإن كان أعزب فهو يريد أن يجد شريكة الحياة المخلصة.

. وإن كان "كامل الأوصاف" فهناك دائماً ما يريده وما يسعى إليه.. وهذا ما ينبغى أن يكون ولكن بلا حقد على من حققوا ما لم يحققه هو، فأرينى يا آنستى من وجد كل ما يحلم به وما يريده.. لأعدد لك ما ينقصه وما قد يحتاج إليه، وسوف تجدينه كثيرا وكثيرا.. جداً. فهل يعنى ذلك أن نمضى العمر وهو قصير مهما طال فى استطلاع ما لدى الآخرين ولا نجده فى أنفسنا؟ إن هذا هو الجحيم بعينه، إنك بذلك كمن يسير فى شارع مزدحم بالناس يستطيع أن يعبره فى حالتين.. الأولى أن يختصم كل من فى هذا الشارع، وأن يجعلهم فوق كتفه وأن يحس بوجودهم جميعا وبمناكبهم تضرب فى كتفه.. وبمنكبه يضرب فيهم، والثانية أن يعبر هذا الشارع فى هدوء بغير أن يحس به أحد وبغير أن يحس هو بأحد، ترى أى الحالتين أكثر سلاما نفسيا للإنسان؟ يا صديقتى إنه عذاب أن نشعر دائما بالآخرين وبما لديهم وبما لدينا وما ليس لدينا خصوصًا أن الآخرين لا ذنب لهم فيما ينقصنا.. ولا فيما وجد لديهم أيضا. لو سألتنى النصيحة فإنى أنصحك بألاّ ترين فى الآخرين إلا الحق والخير والجمال، فإنك إن فعلت وفرت على نفسك كثيراً جدا من المعاناة التى تقاسينها، وتأكدى إنه يندر أن يكره الإنسان

إنسانا ثم يحبه هذا الإنسان، وأنه يندر أيضا أن نحب الناس فلا يحبوننا.

والحديث يطول فى هذا الموضوع، لكنى أكتفى بهذا القدر وأذكرك فقط بأن عين المرء هى نافذته التى يرى منها الدنيا، فإن كانت سوداء فلن يرى إلا سواداً، وإن كانت شفافة فسوف يرى كل الألوان وبأقدارها الطبيعية فى الحياة.. وهذا ما أتمناه لك.

لا أستطيع أن أدعى إنى قد تدخلت فى صياغة كلمات هذه الرسالة.. فالحق أن حرارة الكلمات قد لسعتنى منذ سطورها الأولى فاستدرجنى إلى نهايتها وتركتنى بعدها ساهما.. وفى النفس إحساس رمادى ثقيل تقول كلمات هذه الرسالة:

"بعد عشرة دامت ثلاثين عاما كانت كلها حبًا وعشقًا ودفعًا إلى الرقى وإلى الأمام.. عشرة أثمرت أربعة أولاد.. ابنتين تخرجتا فى الجامعة وتزوجتا وابنين تخرجا فى الجامعة وتزوج الأصغر وبقى الأكبر بدون زواج، وكلهم يشغلون مناصب مرموقة. بعد هذه السنوات الثلاثين رحلت الحبيبة. ماتت روحى ومات الأمل والأمان بعد أن توفيت زوجتى شريكة الحياة ورفيقة العمر، بعد عشرة لم نعرف فيها الغضب ولا الخصام. لم أكن أعرف معها عدد الساعات التى نقضيها معًا ولا عدد الكيلومترات التى نقطعها بالسيارة ولا عدد لترات البنزين التى نستهلكها، بل إنى أوقفت كلا العدادين لكى لا نعرف كم قطعنا من كيلومترات، ولا كم استهلكنا من لترات ولم نكن نعرف عدد النقود التى فى جيوبنا. لقد كانت نبعا يفيض بالحب والحنان، كانت حلوة الوجه والتقاطيع واللسان تتمايل فى مشيتها أمامى فى البيت كغزال، كانت حلوة القد وكانت تناديني وتكلمنى بالأغانى بل إنها ماتت بين

أحضانى فى ثوان، لذلك كانت الصدمة قوية على نفسى وروحى أكاد أفقد معها اتزانى. وبعد مدة خدمة امتدت إلى الأربعين عاما تقلبت فيها فى مختلف وظائف الدولة العلمية والثقافية والمالية، ووصلت إلى أعلى منصب وهو منصب وكيل الوزارة، انتهت مدة خدمتى وأحلت إلى المعاش بعد مائة يوم فقط من وفاة رفيقة العمر، وشريكة الحياة التى وقفت معى فى الضراء قبل السراء. خرجت إلى المعاش إلى فراغ تام قاتل مميت، ووحدة قاتلة على مدى أربع وعشرين ساعة فى اليوم بلا أنيس أكلم نفسى، وأخاطب حبيبتى فى هذا الوقت العصيب الذى أصبحت أعانى فيه من فراغ المعاش، وفراغ البيت وفراغ الروح. أفكر فى الزواج لا للمتعة ولكن للبحث عن أنيس أقضى معه ما بقى لى من أجل، ولكنى أخاف أمرين أولهما احتمال غضب أولادى. وثانيهما وهو الأهم أين أجد الأمينة غير الطامعة الطيبة الهادئة التى يمكن أن آمن إليها وآنس لها وأجد فيها السلوى وعندها الحنان والحب والرحمة والأمن، وكل هذه الأشياء أصبحت أفتقدها. إننى أتمتع بصحة جيدة والحمد لله، ولكن عذاب الليل وظلمته والأرق ألجأتنى إلى الحبوب المنومة والمهدئات حتى أصبحت أخشى معها على صحتى، إننى كل صباح أركب سيارتى وأظل أهيم فى الشوارع إلى أن أجد مكانا هادئاً أضع السيارة وأجلس وحدى لأسرح مع نفسى وأكلمها، وأظل أبكى فى حرقة حتى أتعب فأخذ سيارتى وأعود إلى بيتى، إلى حياة البؤس

والوحدة واليتم، نعم فاليتيم هنا فى مثل سنى ليس من فقد أباه أو أمه ولكن من فقد زوجته.

فهل أجد عندك مأمنا وهل أجد عند أحد قرائك من يمنحنى عملا أشغل فيه وقتى ويتناسب مع مركزى الذى وصلت إليه فى الدولة، فيستفيد من خبراتى وأستفيد بقطع الوقت الثقيل؟ وهل أجد عند قارئاتك من آمن بها على نفسى ومن تشاركنى وحدتى، تكون من بيت طيب لا مطمع لها، وأن تكون فى أواخر الأربعينات أرملة بلا أولاد أو مشاكل، أو آنسة فاتتها الأيام تعيش معى ومع ابنى الذى يبلغ من العمر السادسة والعشرين.

هذه هى الرسالة المعبرة التى تلقيتها منذ أيام. ولا أذكر أنى على كثرة ما قرأت من رسائل مشابهة أو قصص لروائيين كبار تناولوا هذه الصورة الإنسانية فى قصصهم.. لا أذكر أنى قرأت من قبل وصفا لزوجة بقلم زوجها كهذه الصورة الشاعرية الرقيقة: تتمايل فى مشيتها تتكلم بالأغانى.. حلوة الوجه والقد تدفعنى إلى الأمام.. تقاسمنى الضراء قبل السراء.. نركب السيارة لا نعرف كم قطعنا من الكيلومترات.. لا نعرف كم معنا من نقود! يا إلهى ظننت أن هذه الصور الرومانسية مقصورة على فترة الصبا والأحلام. فتعلمت من هذه الرسالة وما أكثر ما نتعلم كل يوم أن الرومانسية ليست مقصورة على مرحلة واحدة من العمر! إن مشكلتنا أننا لا نعرف غالبا قيمة ما فى أيدينا إلا بعد أن يضيع منا.. فإذا فقدناه بكيناه وتمنيناه لكن هذا الزوج فيما يبدو كان يعرف قيمة ما فى يده. إننى يا صديقى أقدر مشاعرك وعذابك وأنت تواجه الحياة وحدك بعد رحلة طويلة، كان لك خلالها شريكة أعطتك كل هذا العطاء.. وكل هذا الإحساس بالأمان لكننى أسالك.. ألسنا نحيا حياتنا ونحن نعرف أن الله سوف

يأخذها منا فى أية لحظة؟ ومع ذلك نعيشها ونرضى بها ونستمتع بها.. أو لسنا نعرف جميعا أنه لا جديد فى ذلك ولا نهاية له، وأن هذه هى الدنيا "الناقصة" التى نعرفها جيدا.. إننى لا أواسيك بهذه الكلمات ولا أقول لك شيئا لا تعرفه.. لكننا نحتاج أحيانا إلى من يعيد على مسامعنا ما نعرفه جيدا وننساه أحيانا تحت وطأة الصدمات المزلزلة.. لقد نشرت ذات يوم رسالة مشابهة إلى حد ما لرسالتك هذه فتلقيت تعليقا عليها من الأستاذ الدكتور محمد عصام فكرى أستاذ الأمراض الباطنة ورئيس وحدة الشيخوخة بطب الإسكندرية، يقول فيه إن آلام الوحدة بعد التقاعد أو فقد شريك العمر ظاهرة معروفة لدى المشتغلين بالشيخوخة، يطلقون عليها حالة فقدان الرفيق، أو حالة "فك الارتباط بالمسئوليات" نتيجة للإحالة إلى المعاش، وأن أهم النصائح التى ينبغى أن توجه لمن يعانى هذه الحالة هى الاختلاط وهو متيسر فى النوادى والجمعيات، والاندماج فى المجتمع بقدر الإمكان والرحلات والسياحة، إذن فسلاحك الأول لمواجهة هذه الحالة هو الاختلاط والرحلات والسياحة، فحاول يا سيدى أن تستفيد بها.. وأن تخرج قليلا من المعايشة الكاملة لأفكارك، أما رغبتك فى العمل والزواج فلو توفرا بلا مشاكل.. وخاصة فى الزواج فهما مفيدان فى مواجهة الوحدة.. لكن لكل شىء أرباحًا وخسائر فهل أجريت حساباتك بدقة فى موضوع الزواج.. وأنت كما تنطق رسالتك تعايش

طيف زوجتك الراحلة ليل نهار، إننى لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال بل أنت الذى تستطيع وحدك.. فأجب عنه أولا ثم أحزم أمرك بعد ذلك، والانتظار قليلا مفيد فى كل الأحوال لكى لا تتأثر قراراتك بظروفك النفسية.

أكثر ما يؤلم النفس أن يحاسب المرء على شيء لم تجنه يداه.. ولم يختره لنفسه بإرادته.. تذكرت هذه الحقيقة وأنا أقرأ رسالة هذا الشاب لقد كتب إلىَّ يقول.. "ترددت كثيرا قبل أن أكتب إليك لكنى لم أجد فى النهاية وسيلة أزيح بها عن صدرى همومى سوى أن أكتب إليك، لعلى أجد عندك جوابا عن سؤال يحيرنى.. أما السؤال فسوف أوجهه إليك فى نهاية رسالتى، وأما قصتى فقد بدأت وأنا فى سن العاشرة حين داهمنى مرض لعين هو الحمى الشوكية، فصارعنى وصارعته ثم نجوت منه لكنه ترك لدى بطاقة زيارة دائمة رافقتنى بعد ذلك طوال حياتى هى ضعف السمع. شكرت الله كثيرا لنجاتى من هذا المرض، ورضيت بقضائه، ولم تضعف معنوياتى بسبب آثار هذا الزائر اللعين، وكرست حياتى للدراسة وبذلت جهودا مضنية لأعوض نقصى فى الدراسة.. ووفقنى الله فى إنهاء دراستى والحصول على بكالوريوس التجارة بتقدير جيد مرتفع، ولا تتخيل فرحتى أو فرحة أسرتى بنجاحى.. فلقد أثبت لنفسى أنى لا أختلف عن الآخرين.. وأقبلت على الحياة بتفاؤل وأمل لكنى لم ألبث أن ووجهت بما تصورت أنى قد اجتزت حاجزه. فقد بدأت أطالع إعلانات الوظائف فى الصحف وأتقدم للشركات التى تطلب خريجى التجارة.. أقدم

أوراقى للممتحنين فألاحظ ارتياحهم لدرجاتى فى البكالوريوس ولتقديرى، ثم أجدهم يتوقفون دائما أمام ورقة لعينة من بين أوراقى تفيد أنى حاصل على إعفاء من التجنيد، فيسألنى الممتحن ببراءة لماذا حصلت على إعفاء من التجنيد؟.. فأجيب الإجابة الصادقة لأنى مرضت بالحمى الشوكية فى طفولتى فتركت أثارا فى سمعى أعانى بسببها من ضعف بسيط فى السمع.. أعالجه بسماعة طبية دقيقة لا تكاد ترى.. وها أنذا أتحدث إليك وأسمعك وأجيب عن أسئلتك، فألاحظ على الفور تغير ملامح أعضاء لجنة الامتحان.. إن بعض الناس لا يعرفون كيف يخفون مشاعرهم فتنطبع على الفور على وجوههم وتنعكس فى نظراتهم.. أصبحت أحفظ هذه النظرات جيدا.. إنها مزيج مؤلم من الإشفاق والتعجب لتقدمى لهذه الوظيفة، ثم يكون الجواب التقليدى.. سنكتب لك على عنوانك ثم لا يكتب إلىَّ أحد.. واجهت هذا الموقف مرات عديدة، وحفظت كل مشاهده من مشهد البداية حتى مشهد النهاية.. ولن تصدقنى إذا قلت لك إنى فى الاختبار الخامس أو السادس لا أذكر على وجه التحديد حين ووجهت بنفس السؤال المعتاد نهضت واقفا ثم أجبته قائلا.. لأن هذه هى إرادة الله يا سيدى.. من فضلك أعد إلى أوراقى ولا تكلف نفسك عناء الوعد بالكتابة إلىَّ، لأنك لن تكتب إلىَّ، ثم انصرفت حاملاً أوراقى مشيعا بنظرات الدهشة والاستغراب، إننى لا أكتب لك

لأطلب عملا.. فأنا الآن أعمل عاملا بمترو الأنفاق أؤدى عملا عضليا مرهقا، لا يمت بصلة لدراستى. معظم زملائى فيه من غير حملة الشهادات وأكثرهم يحملون شهادات محو الأمية.. لكنهم شباب مكافحون طيبون يحرصون على مشاعرى "بذوق" أولاد البلد الفطرى.. الذى يملى عليهم مثلا عدم الإشارة أبداً فى أحاديثهم معى إلى سماعتى الطبية أو إلى ضعف سمعى.. لكنى أكتب إليك لأسألك هل كنت مخطئا حين أصررت على مواصلة تعليمى الجامعى وحين أصررت على النجاح والتفوق رغم مشكلتي؟"

وجوابى عن سؤاله المؤلم فى كلمات مختصرة هو، لا يا صديقى لم تخطئ ولم ترتكب إثما بمواصلة دراستك، فلقد أديت واجبك تجاه نفسك وغالبت ظروفا أقوى منك فكافأك الله بالنجاح والتفوق، لكن المجتمع هو الذى لم يؤد واجبه تجاهك بعد.. وهو الذى أخطأ فى حقك.. ولم تخطئ أنت فى حقه، والمجتمع فى النهاية هو البشر الذين نعيش معهم وبينهم، ومصيبة بعض مسئولى الشركات عندنا أنهم يتعاملون مع طلاب الوظائف بصفة عامة بمنطق الحسابات الصارمة التى لا تدع مجالا للاعتبارات الإنسانية، وقد تعلمنا هذه الاشتراطات الصارمة بكل أسف من الشركات الأوروبية والأمريكية، لكننا لم نتعلم منها أيضا أن هذه الشركات تخصص بعض مواردها لخدمة المجتمع الذى تعمل فيه، ولبعض الأنشطة غير التجارية التى تخدم المجتمع.. ولم نتعلم منها أنها تعين فى هذه الأنشطة الفرعية بعض أصحاب الحالات المشابهة لحالتك للاستفادة بقدراتهم وهى قدرات طبيعية بكل المقاييس. إننى لا أريد أن أطيل فى هذا الموضوع فلقد كتبت فيه مرارا وأثبتت تجربتى معه أكثر من مرة أن فى بلادنا رجالا

أفاضل عديدين يقدمون الاعتبارات الإنسانية والاجتماعية على الشروط الجامدة للتعيين فى الوظائف، فاتصل بى يا صديقى فلعل الله يهيئ لى ولك من هذه الأزمة فرجا.. والله المستعان على ما يصفون!

بعض الرسائل تشل قدرة الإنسان على التفكير.. ومنها فى رأيى هذه الرسالة.. أنا سيدة عمرى ٢٨ سنة.. أعمل طبيبة أخصائية للأمراض الجلدية، نشأت فى أسرة ثرية معروفة وعشت حياة طبيعية، وفى ذات يوم عُرِضَ علىَّ شاب مريض بمرض جلدى منه، وخلال فترة العلاج تعرفت عليه وأحبنى وأحببته ثم تقدم للزواج منى ووافقت أسرتى بعد معارضة وزففت إليه.

وهذا الشاب بدأ حياته فى ظروف مأساوية فقد تربى فى بيئة فقيرة وحصل على الثانوية العامة ثم التحق بالجامعة وعمل لينفق على تعليمه، ثم نجح فى عمله وكسب مالا كثيراً وتزوج من سيدة لم يوفق معها، ثم صدم فى إخلاصها له فطلقها، وقال لى إنه تقدم لفتيات كثيرات رفضنه لأنه شكله غير مقبول ووجه غير وسيم، وبالمناسبة فأنا على قدر كبير من الجمال والذكاء، وقد تزوجت هذا الشاب وأحببته كثيراً وعشت معه حياة سعيدة كل السعادة، ووجدت لديه الحنان والعطف والطيبة وقد أرادنى أن أكون ملكة فى بيته وأن يحضر لى الشغالات فرفضت لأنى أريد أن أخدمه بنفسى، وفعلا خدمته وأصبحت له زوجة وسكرتيرة.. أرتب مواعيده وأكتب له المذكرات واختار ملابسه.. وبعد عامين من الزواج تأكد

وتأكدت من خلال الفحص الطبى الذى أجراه على نفسه أنه غير قادر على الإنجاب.. فعرض على أن نتبنى طفلا من أحد الملاجئ لكى لا أشعر بنقص الأطفال فى حياتى، فرفضت وقلت له إنه يكفينى أن أكون بجواره.. وأن أكرس حياتى له فطلب منى أن أستقيل من عملى لأنه لا يحب أن يرانى مرهقة وموزعة بين العمل والبيت، فاستقلت فعلا وتفرغت نهائيا له ولحياتى السعيدة، ومضى العام الثالث من زواجنا وسافرنا إلى الإسكندرية للاحتفال بعيد الزواج، وفى رحلة العودة اصطدم لورى كبير بسيارتنا، فأصيب زوجى بكسر فى ذراعه وبجروح بسيطة، أما أنا فقد أصبت بفقد البصر وأجريت ٤ جراحات لاستعادته فشلت كلها، لكنى لم أيأس من رحمه الله وسأجرى جراحة أخرى يوم ٢٥ نسبة نجاحها تزيد على ٩٥٪ وأملى كبير فى الله فى أن استرد بصرى، تسألنى بالطبع كيف كتبت لك هذه الرسالة وأنا عمياء، لا بأس. إنى أملى رسالتى هذه على شغالتى وأمينة سرى التى تربت معى فى بيت أبى، وحين أصبت بفقد البصر أصر أبى على أن تصاحبنى لتخدمنى، ومضت الحياة بعد ذلك ولم يتغير شىء فأنا باقية على حبى لزوجى وأتفانى فى خدمته حتى مع ظروفى الجديدة، وهو أيضا على حبه وإخلاصه لى وتفانيه فى إسعادى، بل إنه أصبح أيضاً عينى التى أرى بها الدينا. لكننى فجأة لاحظت منذ حوالى شهرين أنه

قد أصبح كثير السفر والمبيت خارج البيت، إنه محام مشهور يترافع فى قضايا عديدة فى محافظات مختلفة ويسافر كثيراً.. لكنى رغم ذلك لاحظت أن نوبات سفره قد زادت بالذات إلى الإسكندرية، وفى إحدى المرات غاب هناك أسبوعا كاملاً كان يتصل بى خلاله كل يوم بالتليفون، ويعدنى بالحضور ثم حضر أخيراً متعللا بأن القضية كانت مرهقة وطالت جلساتها. ولم أعترض وفى الصباح غادر البيت إلى مكتبه، وقالت لى أمينة سرى إن بذلة زوجى تحتاج إلى تنظيف فطلبت منها إخراج محتوياتها قبل إرسالها للمكوجى ففعلت، فإذا بها تجد بين أشيائه قسيمة زواج حديثة من سيدة بالإسكندرية، لم أصدق نفسى فطلبت منها أن تقرأها مرة ثانية وثالثة ورابعة وحين انتهت من قراءتها للمرة الخامسة، كنت قد غبت عن الوعى. لماذا يا ربى؟.. لأننى عمياء؟ إن عماى مؤقت كما يقول الأطباء.. ثم ما معنى هذا؟ إن تصرفاته معى تقول لى إنه مازال يحبنى ويغمرنى بعطفه وحنانه فلماذا يتزوج غيري؟ وماذا أفعل الآن؟ إننى لم أفاتحه بعد بأنى قد عرفت بنبأ زواجه ولم أفاتح أهلى به، ولو فعلت لسعوا إلى تطليقى منه على الفور.. وأنا الآن حائرة لا أعرف ماذا أفعل؟ فأنى إذا أبلغت أهلى بالنبأ وطلقونى منه ثم أجريت الجراحة ونجحت واستعدت بصرى فإنى سأندم طوال حياتى على أنى طلقت منه، وإذا فشلت العملية

فإنى لن أندم على عدم إبلاغ أهلى، لأنى فى هذه الحالة سأظل عمياء ولن أستطيع خدمته كما كنت أفعل فى سنواتنا الأولى.. وإن كنت سأزداد ارتباطا به لأنه عينى التى أرى بها ماذا أفعل؟ أرجوك أن تجيبنى قبل موعد الجراحة يوم ٢٥ الحالى.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

هذه هى رسالة الزوجة المعذبة التى تلقيتها.. والتى عنيتها حين قلت إن بعض الرسائل تشل قدرة الإنسان على التفكير فالحق يا سيدتى أنى لا أريد أن أغامر بإبداء رأى حاسم فى مشكلتك، وأفضل أن أستعين بعقول القراء لتشاركنى مهمة التفكير الصعبة فى النصيحة المناسبة لك، فمشكلتك صعبة بالفعل وأنت تواجهين فيها اختيارا مريراً بين الرضا بحياتك الحالية وبما تقدمه لك من بعض العزاء.. وبين هدم المعبد من أساسه والبدء من جديد فى ظروف قد لا تكون مواتية.. أنت تواجهين الاختيار بين الرضا بنصف زوج وبنصف الحنان والحب، والوحدة وافتقاد الرفيق الذى تميلين إليه وعليك وحدك أن تختارى، ولو تركت لنفسى العنان لقلت إنى أحس من كلمات رسالتك إنك متمسكة به رغم كل شىء وراغبة فيه وفى استمرار الحياة معه، ولقلت لك إن ظروفك الأخيرة ليست فى رأيى الدافع الأساسى وراء نزوة زوجك ومغامرته الحمقاء.. ذلك أن بعض الرجال يرفضون أن يصدقوا أنهم المسئولون عن عدم الإنجاب رغم نتائج الفحوص، ويسعون سرا لتجربة حظوظهم مع أخريات لإقناع

أنفسهم بأنهم قادرون على ما حرمتهم الطبيعة منه. أعتقد أن هذا هو سبب مغامرة زوجك وليس فقدك للبصر، ففقدك للرؤية مؤقت. وأنت تنتظرين جراحة نسبة نجاحها عالية.. ولم يمض وقت طويل على تعرضك للمحنة بحيث ييأس زوجك ويحاول تعويض نفسه مما فقد، وحتى لو كان فقدك للرؤية دائما.. أيكفى هذا وحده للانصراف عنك!

إننا نعرف نماذج عديدة ناجحة لزواج موفق سعيد بين أزواج وزوجات حرمهما الله نعمة البصر لذلك فإن هذا السبب لا يكفى وحده فى رأيى للانصراف عن زوجة محبة مخلصة مثلك. ثم ألم يفكر زوجك ماذا كان من الممكن أن يحدث لو أصيب هو فى هذا الحادث بفقد البصر وأصبت أنت بالجروح البسيطة؟

أكنت تتخلين عنه بهذه السرعة؟ أشك فى ذلك كثيرا.. لأن المرأة السوية عادة أكثر رضا بقضاء الله من بعض الرجال الجاحدين، إننى لا أريد أن أواصل الحديث معك لكى لا أنجرف إلى إبداء رأى محدد قد يكون جائرا، لكنى سأنقل إليك ما أتلقاه من أراء قراء البريد، وإلى اللقاء.

أعرف تماما أن لكل قاعدة استثناء، وأن حالة مرضية واحدة لا تصلح للحكم على الأشياء ولا لاستخلاص أحكام عامة، ولا للحكم على المجموع، ومع ذلك فإننى أستجيب لرغبة كاتب هذه الرسالة "المفزعة" فى نشرها لأنها تنبه إلى مشكلة خطيرة، ولأنى أحس بصدق كاتب هذه الرسالة فى كل ما كتب، وأحس أيضا بصدق رغبته فى أن يستفيد الآخرون من تجربته المؤلمة بأن يتفادوا الوقوع فى مشكلة شبيهة بها.. فأنبل الآلام ما يدفع الإنسان إلى محاولة تجنيب غيره معاناتها أو مكابدتها!

إنى أنشر هذه الرسالة وقلبى واجف لأنى أعلم أنها ستثير فزع الكثيرين.. وغضب الذين قد يفهمونها على أنها مساس بأصحاب أنبل المهن وهى مهنة التعليم والتربية.. ولهؤلاء فإنى أقول مقدما إنكم أول من يرفض مثل هذا الانحراف.. وأن الحالة المرضية لا تمس الأغلبية الشريفة.. وأقول لهم أيضا إن كاتب هذه الرسالة كما ستقرأ بعد قليل هو أيضاً من رجال التربية.. وأكتفى بهذه المقدمة لأنى لن أعلق على هذه الرسالة.. التى لا تحتاج إلى تعليق.. وإنما تحتاج إلى التفكير وإلى استخلاص العبرة والتجربة منها.. فالحياة تجارب. وتجارب الآخرين قد تعلمنا أحيانا أكثر مما نتعلم من تجاربنا الشخصية،

وهذه هى الرسالة بعد حذف بعض عباراتها حرصا على المشاعر والأعراف:

أسمح لى أولا أن أقدم نفسى دون توقيع اسمى لظروف سوف تدركها من خلال قراءة هذه المشكلة، أننى أشغل وظيفة علمية كبيرة – بالإضافة إلى العمل فى المجال التربوى – وهذا هو الذى دفعنى أن أعرض ما أتعرض له للقراء – كأب يخشى أن يتعرض الآخرون لما تعرضت له، والقضية أن لى بنتا صغيرة فى المرحلة الابتدائية، وكنتيجة لما نعانيه من المشكلات الدراسية، أحضرت لابنتى مدرسا دخل بيتى فى أدب ويخرج وعيناه فى الأرض خجلا ومضت السنوات.. وبالأمس القريب – وابنتى لم تصل إلى سن العاشرة بعد – تكلمت مع أمها وبطريقة المصادفة عن أن هذا المدرس يضع يده فى ملابسها رغم أن باب الحجرة التى يقوم بالتدريس بها يكون مفتوحا باستمرار – ولم يحدث ولو مرة واحدة أن أغلق رغم ثقتنا العمياء به – إلا أنه بأسلوبه – كان يقرب الطفلة منه، وكانت تقاوم باستمرار، ولا ندرى ماذا يفعل، بل إنها كانت تعتقد بأن ذلك نوع من التشجيع. أقول هذا للذين يثقون بالآخرين مهما كانوا ورغم أننى وزوجتى فتحنا ذراعينا وبيتنا للرجل، فإنه خان العهد ولولا لطف الله ورحمته لربما انساق فى أكثر من ذلك – أقول ذلك وأنا وزوجتى كنا فى أشد الحرص – إلا أن

هذا استطاع أن يحقق بعض مآربه – مع العلم بأنه متزوج وله أولاد وساعدناه كثيرا – ويعلم الله ذلك.

وأخيرا لا تسألنى ماذا ستفعل – فأحمد الله أننى وزوجتى استطعنا أن نمر وطفلتنا بأمان من هذه المأساة لما لنا من خبرة – ولم نندفع ولم نرتكب عملا يؤثر على سمعتنا وحالة طفلتنا النفسية.

أرجو ألاَّ نترك أبناءنا مع الكبار مهما كانت أوضاعهم أو مراكزهم، وليس هذا شكا فى الجميع بل عملاً بمبدأ السلامة والوقاية خير من العلاج.

الإمضاء: "أب"

رسائل عديدة تلقيتها خلال الأسبوعين الماضيين تعلق على موضوع، رسالة من أب التى نشرت فى بريد الجمعة بعضها يناقش التجربة.. والبعض الآخر أثارت لديه الرسالة ذكريات أليمة مع تجارب مشابهة، ويرغب أصحابها أو صاحباتها فى روايتها للآخرين للعبرة والاستفادة بها فى تجنيب الأعزاء التعرض لتجارب شبيهة، والبعض الثالث يشارك الأب كاتب الرسالة آلامه ويشكره لرغبته الإنسانية فى نصح الآخرين بعدم ترك صغارهم بعيدا عن الرقابة والرعاية مهما كانت الظروف، ومهما كانت الثقة فى أشخاص الآخرين وبعضها لا يعفى الآباء من مسئوليتهم عما يحدث لأبنائهم، وبناتهم مهما كانت مسئولية الآخرين، وتطالبهم دائما بأن يكون صغارهم تحت أنظارهم دائما عملاً بمبدأ الوقاية خير من العلاج.

ومن الصعب أن أعرض كل ما تلقيته من رسائل حول هذه المشكلة لكثرتها من ناحية ولحساسية الموضوع الذى اقتربت منه فى حذر تجنبا للحساسيات من ناحية أخرى، لكنى اخترت رسالة واحدة منها، لأنها تمثل مؤشراً لحالة اجتماعية منتشرة الآن فى المجتمع المصرى، ومن المفيد أن نقرأها معا بنفس المنطق الذى عرضت به من قبل قصة "رسالة من أب" أى

متعلق الرغبة فى الاستفادة من تجارب الآخرين.. لا بمنطق الرغبة فى الإساءة إلى أحد أو المساس بأية فئة من الفئات، وقد قلت من قبل فى عرضى لرسالة الأب إن حالة مرضية واحدة أو حالات فردية محدودة لا تكفى للحكم على المجموع، ولا لإصدار أحكام عامة.. وهذا ما أقوله الآن مرة أخرى قبل عرض هذه الرسالة: تقول الرسالة التى تلقيتها من سيدة فاضلة بالإسكندرية: نشأت فى أسرة متوسطة متدينة، الأب موظف والأم مدرسة وكنت كبرى إخوتى، وأنهيت دراستى وعملت مدرسة بالمرحلة الابتدائية وتزوجت وتفانيت فى إرضاء زوجى وأنجبت ٣ أبناء. لكن زوجى مولع بالسفر.. وبعد فترة من زواجى سافر زوجى وحده إلى أمريكا ليلحق بشقيقتيه هناك، وتحملت الوحدة والآلام ونظرات الناس القاتلة لى بصبر حتى عاد بعد عدة سنوات، وتصورت أن متاعبى قد انتهت فها هو الزوج المحبوب قد عاد لأبنائه.. ومعه بعض المال.. وسوف تطيب لنا الحياة خصوصا أننى ليس لى مطالب كبيرة فى الحياة، وكنت راضية بحياتى قبل سفره، لكننى فوجئت به يودعنى لأنه سيسافر إلى إحدى الدول المجاورة ليدير بها فندقا كبيراً هناك!

وبالفعل فلقد سافر وحده مرة أخرى بلا زوجته وأبنائه الثلاثة.. وتعجبت ما الذى يضطره إلى ذلك وهو ليس فى حاجة شديدة للمال.. كما أننا نحيا حياة طبيعية ولسنا فى حاجة إلى هجرة جديدة!

سافر الزوج إلى مهجره الجديد وأقام فى فندقه وحقق نجاحا كبيراً. واكتشفت فجأة أنه قد مضى على هجرته سواء إلى أمريكا أم إلى الدولة المجاورة أكثر من ١٣ عاما. وكل ما يربطنا به هو زيارة خاطفة لعدة أيام كل بضعة شهور.. زيارة لمدة ٧ أيام كل بعضة شهور.. ولا شىء يهمه بعد ذلك سوى نجاحه، أما أبناؤه فمسئوليتهم تقع على وحدى.. أما زوجته وهى أنا.. فلها الله.. المهم احتجت إلى الاستعانة ببعض المدرسين لتقوية أبنائى، فاستحضرت مدرسا اشترطت عليه أن يأتى مبكراً وأن يغادر شقتى قبل الغروب، مراعاة لظروفى كزوجة وحيدة، ومضت الحال هكذا حتى جاء الشتاء وتغيرت المواعيد، لأن الظلام يحل مبكراً.. وذات يوم كانت السماء تمطر فاستعار الرجل مظلة تقيه المطر عند خروجه ثم غادر المسكن بعد انتهاء عمله، وانتهى اليوم ودخل الأطفال أسرتهم ونمت أنا ثم صحوت على صوت الجرس فاستيقظت منزعجة لأجد هذا الشخص متذرعا بحجة إعادة المظلة إلىَّ..، ولن أطيل فى ذكر تفاصيل ما حدث لكنى سأقول فقط إننى تعرضت لمحنة شديدة تمزقت فيها ملابسى وقبلت فيها قدم وغد وأنا أتوسل إليه أن يرحم ضعفى وأن يدعنى فى حالى، وكان ما يشغلنى هو ألا يشعر أولادى أو جيرانى بشىء حرصًا على سمعتى وعلى نفسية أبنائى.. وستر الله على فاستجاب الوغد لمطلبى وانصرف بعد بهدلة وعذاب ولم يشعر أبنائى بشىء. والحمد لله.. لكننى تعرضت بعدها

لأزمة نفسية شديدة، ورغم مضى وقت طويل على هذا الحادث فإن بصماته لم تزل غائرة فى نفسى، ولم أخبر أحدا بها حدث حتى لا أسىء لنفسى أكثر من أى شخص آخر، حتى قرأت فى بريدك رسالة الأب فثارت هذه القصة فى نفسى ووجدتنى أكتب إليك لتنشر ما حدث لى كدرس لكل من يترك وراءه زوجة صغيرة شابة وحيدة لمصير مجهول، لفترات طويلة بلا مبرر وبلا ضرورة، ولكى أقول لهؤلاء إننى سيدة متدينة لكن الكمال لله وحده، والنفس دائما ظمأى للكلمة الطيبة.. والسلام عليك.. وتحيتى للأب كاتب الرسالة الذى أقول له لست وحدك الذى عانيت هذه المرارة.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

هذه هى رسالة الزوجة التى اخترتها للنشر من بين الرسائل العديدة والتى تفجر هذه المشكلة الخطيرة.. ولهذه الزوجة الصادقة أقول إننى أقدر آلامك وعذابك وتضحياتك.. لكنك يا صديقتى أخطأت بحسن نية فلقد كان من الأفضل فى مثل ظروفك أن يعتمد أبناؤك على أنفسهم وأن يستعينوا بمجموعات التقوية، أو أن يتلقوا الدروس وسط مجموعة صغيرة من الطلبة فى بيتك أو بيت أحد زملاء ابنك، كما أنك أخطأت أيضا عندما فتحت للمدرس فى منتصف الليل لاسترداد المظلة من الوغد، فهى حجة واهية وفى مثل ظروفك فليس من المقبول أن تفتحى بابك لأحد لأى سبب فى مثل هذا الوقت المتأخر. لكن أخطاءك أو هنَّاتك لا تقاس بجريمة زوجك فى حقك أو حق أبنائك بترككم وحدكم عدة سنوات طويلة بلا مبرر سوى جريه وراء طموحه، أو بمعنى أصح وراء جشعه ونهمه للمال. فأمثاله كثيرون يصطحبون أسرهم معهم، أو يهاجرون لفترات محدودة لحل مشكلاتهم المالية، ثم يعودون لرعاية أسرهم وهذا النموذج البشع لزوجك موجود الآن بكل أسف فى مجتمعنا، نموذج "المهاجر" الذى

يترك وراءه أسرته وتطول هجرته، بعد أن شبع وارتوى من المال ولم يعد هناك مبرر قوى لاستمرار هجرته، أو لاستمرار تمزق أسرته والعجيب أن مجتمعنا الآن به طائفة لا يستهان بها من الأمهات اللاتى يتولين وحدهن مسئولية الأبناء الكاملة، كأن الآباء قد انتقلوا إلى رحمة الله.. لا لشىء إلا لأن الأب "مستميت" فى جمع الثروة بالخارج بعد أن حل مشكلته المالية.. لكنه لم يشبع بعد، إننا لا نلوم مهاجرا تضطره الظروف لترك أسرته وراءه لفترة، لكننا نلوم من يفضل تركها وراءه بلا مبرر ليتخفف من أعبائها.. ونلوم من حقق نجاحا وثروة ويرفض العودة لأسرته لأنه أصيب بالسعار.. وأصبحت الحياة عنده أرقاما وحسابات بنوك.. وشقق تمليك وشهادات استثمار فقط.. وهم كثرة الآن بكل أسف. وهؤلاء ينسون أن المال عند البعض كالماء المالح كلما شربت منه ازددت عطشاً، وهؤلاء ينسون أن رعاية الأبناء والزوجة هى مسئوليتهم الأولى فى الحياة.. وهى الهدف الذى كان ينبغى أن تيسره لهم الثروة.. فماذا يجدى المال وحده وحياة الإنسان ممزقة وأبناؤه ضائعون، لقد استن الخليفة العادل عمر بن الخطاب قاعدة ألا يغيب الرجل فى الجهاد عن زوجته وأبنائه أكثر من ثلاثة شهور، يعود بعدها لأسرته وطبق هذه القاعدة على المجاهدين فى سبيل الله، فما بالك بالمجاهدين فى سبيل المرسيدس والفولفو وشقة العجمى، وشهادات بنك مصر الدولارية؟ ألا تطالبهم النخوة باصطحاب أسرهم معهم

أو بالعودة لها بعد الارتواء؟ إننى أتمنى أن يقرأ بعض "المجاهدين" رسالة هذه الزوجة وأن يتفهموا معنى كلماتها المعبرة الصادقة.. إن الكمال لله وحده" فالكمال لله وحده فعلاً يا..... وإلا بلاش!

بعض الرسائل أحس حين أقرؤها أن حروفها لهيب وكلماتها أشواك، ومن هذه الرسائل وبلا مقدمات طويلة - هذه الرسالة:

"أكتب إليك عن مشكلتى وكلى آمل فى أن تنشرها.. وهى ليست مشكلتى وحدى لكنها مشكلة كل شباب الجيل الحائر التعس.

من الطبيعى أن أبدأ بأن أعرفك بنفسى وإن كنت سأعتذر عن ذكر اسمى لأسباب ستعرفها بعد قليل.

أنا يا سيدى ضابط شرطة شاب تخرجت منذ ٣ سنوات، وأمضيت فى خدمة الشعب والشرطة ٣ سنوات كاملة حتى الآن، وكان من الطبيعى أن أفكِّر فى أن أتقدم لخطبة الإنسانة التى أحببتها وتمنيتها شريكة لحياتى، وهنا بدأ العذاب وبدأ الأرق بسبب احتياجى لأشياء كثيرة منها المهر والشقة، وبالذات الشقة، حاولت كثيراً وبكل الطرق أن أحصل على شقة، فوقف العجز المادى أمامى كأنه شيطان يخرج لى لسانه.. شقيت كثيرا وحاولت كثيرا وبكيت كثيرا، فوالد حبيبتى يطالبنى بالشقة وأنا عاجز تماما.. فمن أين أدفع هذه الخلوات الباهظة وليس لى سوى راتبى ومن أين أدفع ثمن الشقة،

التمليك"؟ ومعظم العمارات تمليك الآن ومتوسط السعر ٢٥ ألف جنيه، باختصار رفضنى والد خطيبتى وأنهى ما بينى وبينهم، وبالطبع فسوف أعبر آلامى.. وسوف أتزوج فى يوم ما غيرها.. لكننى سوف "أفطم" أولادى إن شاء الله على انتهاز الفرص والسرقة وقبول الرشوة! إذا أمكن لكى لا يكرروا غلطتى وهى الأمانة فى عملي!، أما أنا فلكى أستطيع أن أدفع ثمن الشقة فلابد أن أكون "منحرفا".. وفعلا سوف أكون كذلك مثل آخرين.. لكنى أرجوك أن تعرض مشكلتى على المسئولين لعلهم ينقذون هذا الجيل من الاحتراق.. فنحن نحترق فعلا أمام عجزنا.. وأتمنى من الله أن يكون كلامى هذا صادرا عن البركان المتفجر داخلى الذى أظهر فى كلامى هذا الحقد والغضب. وأتمنى من الله أن يوفقنا إلى ما فيه خير هذا البلد الذى يحتاج إلينا وإلى جهدنا وإن كنت أعتقد أن ذلك غير ممكن فى ظل نفسية هذا الشباب المحطم!

هذه هى الرسالة الشائكة، ولست فى حاجة لأن أقول إننى ترددت قليلا فى نشرها، لكى لا يسئ البعض فهمها. لكنى لم أتوقف طويلا أمام هذا التردد فهى ليست مشكلة ضابط شرطة بقدر ما هى مشكلة شاب مثله آلاف بل ومئات الألوف من الشبان الذين يقفون محاصرين بالعجز والإحباط، أمام مشكلة الشقة وتكاليف الزواج، وهى أيضا ليست رسالة بالمعنى الصحيح لكنها صرخة جيل بأكمله وهذه هى خطورتها الحقيقية! وبلا حساسيات فهى صرخة جيل يطالب بتركيز الجهود على حل مشكلة أساسية من مشكلات حياته،لكى لا تتضاعف آثارها المدمرة للمعنويات والمحبطة للآمال. لا جديد فى هذا الكلام.. فهو معروف محفوظ. لكن أهمية بعض الرسائل أنها تلقى الضوء على الجانب الإنسانى المؤلم من المشكلات العامة المعروفة، وتدعو للتفكير والتأمل. هذا عن المشكلة العامة أما عن صديقى كاتب هذه الرسالة ففى الحقيقة فأنى لست قلقا من "وعيده" بأنه سوف يتخلى عن الأمانة وأنه سوف يفطم أبناءه على انتهاز الفرص.. إلخ، فإنى على ثقة أنه ليس وعيدا صادقا لكنه صرخة احتجاج صادرة عن غضب ومرارة، أحس بهما هذا الشاب وهو يحرم من شريكة حياته لسبب،

لا يملك، خارج عن حدود طاقته وإمكانياته، إنه شاب مطعون فى قلبه وفى كرامته وفى أمله..، لكنه بالتأكيد شاب نقى أمين بدليل كتابته لهذه الرسالة بكل هذا الصدق، وبكل هذه الرغبة فى إنقاذ هذا الجيل من الاحتراق.. وبدليل تمنياته الطيبة لبلاده رغم تحفظاته على إمكانية تحقيق هذه الأمنيات.

إنك يا صديقى لن تفعل شيئا مما قلت.. لكنك ستواصل طريق الأمانة والشرف وسوف تربى أبناءك على القيم والأخلاق لا على انتهاز الفرص.. لأنك لن تكسب شيئا إذا كسبت العالم كله وخسرت نفسك، ولأنك لن تسعد بأبنائك إذا ربيتهم على هذا المثال.. فإنك إن فعلت فسوف تكون أنت أول من يضحون به لتحقيق أحلامهم بالطريقة التى علمتهم إياها! إنك جريح يا صديقى وأنا حزين من أجلك، لكنى واثق من نقاء معدنك، ولسوف يوفقك الله إلى شريكة حياة تستحقك وإلى صهر متعقل متفهم يقدرك حق قدرك وأمامك كثيرون جدا والدنيا مليئة بهم، لكن المؤسف أن بعض الآباء يشتركون مع أزمة المساكن الطاحنة فى الضغط على الشباب الراغب فى الزواج.. إلى الحد الذى يهدد بالانفجار.. ويحاصرهم بالعجز والإحباط ويكاد يدفعهم دفعا إلى الانحراف.. وهذه جريمة أخرى لا تقل خطراً عن جريمة وقوف شاب طيب أمين كهذا الشاب عاجزاً عن تحقيق أحلامه فى حياة أسرية شريفة لهذا السبب اللعين.

رن جرس التليفون، ترددت فى أن أرفع السماعة فقد كان ما سمعته منه فى ذلك اليوم يكفينى ويزيد من آلام الناس ومشاكلهم. نظرت إلى التليفون أملا أن ييأس ويصمت لكن الرنين ازداد إلحاحاً. مددت يدى إلى سماعة التليفون متوجسا فجاءنى صوته يقول: فلان؟ أنا ضابط الشرطة! الذى كتبت عنه، تذكرته على الفور على الرغم من أنى لم أكن أعرف اسمه حين نشرت قصته فى بريد الجمعة بعنوان "رسالة من شاب" إنه الضابط الشاب الذى فسخت خطوبته بسبب الشقة وكتب إلىّ غاضباً متألما. تصورت أنه يتصل بى استجابة لرسالة الأب التى نشرتها فى الأسبوع الماضى والتى يعرض فيها عليه الزواج من ابنته طالبة الجامعة، لكننى فوجئت به يبلغنى على عكس المتوقع نبأ سارا! قال لي: أرجوك أن تشكر على لسانى هذا الأب الفاضل على مشاعره الأبوية الكريمة، لكن هناك أشياء قد جدت خلال الفترة التى تلت نشر رسالتى. قلت له: ماذا حدث؟ قال: كان ما كتبته عنى معبرا عن حقيقة مشاعرى، وأنا أعانى من صدمة انهيار الأحلام على صخرة البحث عن شقة.. وكانت كلماتى الضائعة الحائرة عن الشرف والأمانة "ووعيدي" بالانحراف هى مجرد تعبير عصبى عن حالتى النفسية وأنا فى قمة المأساة. وقد عبرت أنت عن ذاتى الحقيقية

وضميرى حين قلت فى ردك على إننى رغم ذلك لن أنفذ هذا الوعيد وأننى سأواصل طريق الشرف وخدمة الناس، على الرغم من آلامى. قلت له وبعد؟ قال بعد نشر رسالتى تأثر والد خطيبتى بما كتبته.. وتأثر أبى بما نشر فتلاقت النوايا الطيبة وعادت المياه إلى مجاريها، وتم تحديد يوم لإعلان استئناف الخطوبة واتصلت بك لأدعوك لحضور حفل خطوبتى الجديدة القديمة فلم أنجح فى العثور عليك، وكنت أتمنى أن تكون معنا فقد كان لكلماتك دور مهم فى إعادة الشمل. قلت له مبتهجا: هذا خبر سعيد "لا تتصور سعادتى بسماعه" الدنيا بخير قال: وأسعد منه أنى وفقت إلى العثور على شقة ملائمة لإمكانياتى بمساعدة أصهارى وأقاربى.. والحمد لله فلقد حلت المشكلة! سمعت ما يقوله غير مصدق أن يحمل إلى نفس هذا التليفون هذه الأنباء السعيدة بعد أن كادت أسلاكه تذوب من حرارة المآسى التى تتردد عبرها. صمت قليلا لأختبر مدى جديته فوجدته جاداً تماما.. تفكرت قليلا فى اختيار كلمات تهنئة رقيقة بالشقة والخطوبة وعودة الأمل.. وهممت بأن أقولها له.. فوجدت لسانى يفلت بلا إرادة وينطق رغما عنى بهذه الكلمات: أنت مابتتكلمش ليه.. ابقى أتكلم كل يوم!!! وانتهت المكالمة!!.

أنا قارئ مستديم طوال حياتى للأهرام – وأنا موظف بالمعاش تجاوز عمرى الخامسة والستين... وقد أصبت بجلطة فى الشريان التاجى منذ ثمانية شهور ومستمر فى العلاج، وقد جاوزت مرحلة الخطر وفى طريق الشفاء بإذن الله. والمشكلة أن ابنى الأوسط خاطب وعلى وشك الزواج.. وقد "طوَّل" لسانه علىَّ عدة مرات فنهيته عن ذلك مرارا وحذرته أنه لو أخطا مرة أخرى "وطول" لسانه على فإنى أقسم يمينا بالطلاق ألا أحضر عقد قرانه وزفافه فتحدانى.. وأخطا فىَّ مرة أخرى وفى لحظة "الغلط" حلفت يمينا بالطلاق ألا أحضر قرانه وزفافه، وأن قد اقترب موعد القران فهل من مخرج.. وهل توجد كفارة عن يمين الطلاق.. أم لا أحضر قرانه!.. أرجوك أن تهتم بإبداء النصح لى وبسرعة لأن يوم الزفاف يقترب. رمل الإسكندرية.

ولماذا تبحث عن مخرج لحضور الزفاف.. والحنث بقسمك؟ إن مشكلة القسم بالطلاق والعدول عنه مشكلة صغيرة يستطيع أن يحلها لك أى إمام مسجد قريب من منزلك. . ويستطيع أن يهديك لما تفعل فى هذه الحالة لكن هذه ليست القضية، وإنما القضية هى لماذا تريد أن تحنث بقسمك وتحضر زفاف هذا الابن العاق الذى تطاول عليك مرة وأخرى وثالثة وأنت مريض حتى حذرته ونبهته وهددته. فلم يرتدع إننى أعرف أن التسامح قيمة إنسانية نحتاج إليها لكى تصفو الدنيا ونستطيع أن نتحمل عناءها بقدر الإمكان، لكننى مع احترامى لكل المعانى الإنسانية التى تتضمنها قيمة التسامح فإننى لا أؤمن بالتسامح مع ابن يسب أباه المريض أو لا يبدى نحوه الاحترام الكافى.. فهو فى هذه الحالة ليس تسامحا وإنما ضعف.. وليس حنانا وإنما تدليل ضار.. لابد أنك أسرفت فيه مع هذا الابن العاق فى طفولته فأثمر ثماره الرديئة فى سن الشباب.. آسف يا سيدى لو سألتنى النصيحة.. فإنى أنصحك بألاَّ تبحث عن مخرج أو كفارة.. إلا إذا ندم ابنك ندما حقيقيا على خطئه فى حقِّك ورجع عنه نهائيا وهو ما لم تشر إليه فى رسالتك المؤلمة هذه..!

كتب للمؤلف

١ - أصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ١٩٩٨
٢ - يوميات طالب بعثة	أدب رحلات	الطبعة الثالثة ٢٠٠٤
٣ - هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ١٩٩٨
٤ - صديقى لا تأكل نفسك	مقالات وصور أدبية	الطبعة السادسة ٢٠٠١
٥ - نهر الحياة	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٦ - العصافير الخرساء	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٧ - صديقى ما أعظمك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٨ - افتح قلبك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٩ - اندهش يا صديقى	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
١٠ - أزواج وزوجات	قصص إنسانية	الطبعة الثالثة ٢٠٠١
١١ - أرجوك لا تفهمنى	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
١٢ - رسائل محترقة	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٣ - أماكن فى القلب	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٤ - لا تنسنى	قصص رومانسية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٠
١٥ - نهر الدموع	قصص إنسانية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٠

١٦- أقنعة الحب السبعة	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٠
١٧- مكتوب على الجبين	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٨- أوراق الليل	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٩- طائر الأحزان	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٢٠- أعط الصباح فرصة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٢١- الحب فوق البلاط	قصص قصيرة	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٢٢- سائح فى دنيا الله	أدب رحلات	الطبعة الرابعة ٢٠٠٤
٢٣- قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٢٤- صور من حياتهم	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ١٩٩٧
٢٥- أهلاً.. مع السلامة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٢٦- قدمت أعذارى	خواطر وتأملات	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٢٧- أيام السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٩
٢٨- حصاد الصبر	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠١
٢٩- صوت من السماء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠١

*** كتب للمؤلف من إصدارات "الدار المصرية اللبنانية"**

٣٠- العيون الحمراء	قصص إنسانية	الطبعة السادسة ٢٠٠٣
٣١- وقت للسعادة وقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	الطبعة السادسة ٢٠٠٣
٣٢- شركاء فى الحياة	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٢
٣٣- خاتم فى إصبع القلب	صور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٣٤- وحدى مع الآخرين	مقالات	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٣٥- ساعات من العمر	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثالثة ٢٠٠١
٣٦- غاشوا فى خيالى	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٣٧- ترانيم الحب والعذاب	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٣
٣٨- الثمرة المرة	قصص إنسانية	الطبعة الرباعة ٢٠٠٣
٣٩- دموع القلب	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٣
٤٠- أرجوك أعطنى عمرك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٢
٤١- من المفكرة الزرقاء	صور ومقالات أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٤٢- الأرض المحترقة	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٢
٤٣- سلامتك من الآه	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٤- هو وهى والآخرين	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٥- حكايات شارعنا	صور ومقالات أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣

٤٦- قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٧- الرسم فوق النجوم	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٨- تحية المساء	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٩- الزهرة المفقودة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٤
٥٠- يوميات طالب بعثة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٤
٥١- سائح فى دنيا الله	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٤
٥٢- أرض الأحزان	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦
٥٣- نافذة على الجحيم	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦
٥٤- بعد مغيب القمر	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦
٥٥- فتاة من قاع المدينة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦

المحتويات